شعائر

مجلة شهرية تُعنى بالمعرفة الدينية الإسلامية و الثقافة الأخلاقية

تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت علم و خبر 2009/287

العدد السابع. ذو الحجة 1431 - تشرين الثاني 2010

المدير المسؤول
خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفني
احمد شقير
محمد كوراني

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 40 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد

دول عربية و إسلامية. وأوروبا و أمريكا الشمالية

تضاف أجور البريد

الأسعار

□ لبنان : 3000 ل.ل □ سوريا: 100 ل.س

سائر البلدان: تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي

هاتف 01/544955 - 03/725246

ص.ب. 25/5141

الموقع: www.saraer.org/shaaer

بريد إلكتروني: shaaer@saraer.org

شعائر

مجلة شهرية تعنى بالمعرفة الدينية الإسلامية و الثقافة الأخلاقية

تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة: الحج و أنسنة العولمة ..... الشيخ حسين كوراني ٦

تحقيق: ماء زمزم ..... تحقيق: أحمد الحسيني ٨

مراقبات: أعمال شهر ذي الحجة ١٣

أحسن الحديث: الشفاعة ..... المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ٢١

موجز في التعريف بالسوَر (سورة الأعراف) ٢٤

أيام الله: مناسبات شهر ذي الحجة ٢٧

وقال الرسول: الحاج ٣٢

يزكّيهم: الحج في توجيهات الفقيه العارف الشيخ محمد مهدي النراقي ٣٣

الملف: خامس أئمة المسلمين الإمام محمد الباقر عليه السلام ٣٥

الصلاة على الإمام الباقر عليه السلام ..... من الصلوات الكبيرة على المعصومين ٣٦

الإمام الباقر عليه السلام: ملامح عامة ..... إعداد وتنسيق: جعفر سويد ٣٧

الباقران و الصادقان عليهما السلام ..... من دروس «المركز الإسلامي» ٤١

قالوا في الإمام الباقر عليه السلام ..... إعداد: محمد حسن يونس ٤٤

منهج التزكية عند الإمام الباقر عليه السلام ..... السيد منذر الحكيم ٤٦

من وصايا الإمام الباقر عليه السلام ..... تنسيق: محمد العبد الله ٤٨

الإخبار بما كان أو يكون ..... أسرة التحرير ٥٠

صاحب الأمر: أمير الحج في كل عام ..... الشيخ حسين كوراني ٥١

محتويات العدد

لولا دعاؤكم:
من أدعية يوم المباهلة ٥٤

كتابا موقوتا:
صلاة الخاشعين ٥٥

يذكرون:
أذكروا الله ذكراً كثيراً ..... إعداد: محمد العبد الله ٥٦

فكر و نظر:
فقه الجغرافيا السياسية في الفكر الإسلامي ..... الشيخ محمد مهدي الآصفي ٥٧
من أسرار الحج عند صدر المتألهين الشيرازي ..... الشيخ علي جابر ٦٠

أعلام:
الفقيه العارف آية الله الكشميري ..... إعداد: طالب صلاح ٦٢

حدود الله:
التّظليل للرجال حال الإحرام ٦٧

وثائق:
شاعر من صور من القرن الرابع الهجري ٦٨

كلمة سواء:
رسالة النبيّ الأكرم إلى هرقل ملك الروم ..... إعداد: «شعائر» ٦٩

مرابطة:
شيخ الأزهر: نصلّي وراء الشيعة و قرآننا واحد ٧٠

دوائر ثقافية:
كتاب: «الغدير في الكتاب و السنة و الأدب» ..... عبد اللطيف عباس ٧٢
الأُضحية السنّة المهجورة ..... إعداد: الشيخ علي المسترشد ٧٤

مصطلحات:
الإسم.. الإله ..... العلامة السيد مرتضى العسكري ٧٦
ما بعد الحداثة ..... إعداد: خضر إبراهيم ٧٧
مفكّرة الشعائر ٧٨
إصدارات عربية ٧٩
إصدارات أجنبية ٨٠
دوريات ٨١

أيها العزيز:
في مراتب السلوك ..... الإمام الخميني قدس سره ٨٢

الحجّ.. أنسَنة العَولمة

الشيخ حسين كوراني

هنا مكّة – مركزُ الكرةِ الأرضيّة وقبلتُها. من هنا بدأ دَحْو الأرض، من تحت الكعبة. هنا البيت المعمور الظاهر المُلكيّ، بإزاءِ البيتِ المعمورِ المعنى والملكوتيّ. مكّة منبر الأنبياء ليُثيروا لبني آدم دفائنَ العقول. من مكّة كان النداءُ الإبراهيميّ: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ..﴾. وفي مكّة استنزلَ سيّدُ الأنبياء القرآنَ الكريم، الهُدى الإلهي الأتمّ والخالد للعالَمين. ومن جوار الكعبة يُعلن قائم آل محمّد، إقامةَ الحكومة العالميّة الواحدة.

حقائق محوريّة: مع مكّة والحجّ إليها تُتاح للحجيج إمكانية التعرّف على الحقائق المحوريّة التالية:

١– أنّ أبانا نبيّ، بخلاف كلّ مَن يريد أن يُصوِّرَه قرداً! أو حيواناً، أوأضلَّ سبيلا.

٢– وعلى مَقرُبةٍ من مكّة، وفي مدينة «جَدَّة» التي هي مهبط الحجيج عادةً، يتعرّف الناس على أُمّهم «حوّاء» «المُطَهَّرة من الأرجاس» كما عن أهل البيت عليهم السلام.

٣– وأنّ العلاقة بين آدم ومكّة محمديّة بامتياز، تُذكِّر بمرحلة ما قبل الخلق حين فتح النبيُّ آدم. على نبيّنا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام. عينيه فرآى أنواراً مُحدِقةً بالعرش. في هذا السياق إذاً كانت مكيّة آدم. إنّه سياق فرادة «الإنسان الأوّل» صلّى الله عليه وآله الذي جعل مسار الإنسانيّة ومصيرَها مرتبطاً بمكّة.

٤– وأنّ العلاقة بين نبيّ الله إبراهيم ومكّة، كذلك محمديّة بامتياز، فالرحلة ما بين «أور» ومكّة محمديّة.

٥– ويُتاح للحجيج اكتشافُ العلاقة بين البيت وأهل البيت، وهي من السهل المُمتنِع، فبيتُ الناس لكلّ الناس، إلا أنّ أهلَه هم أولى الناس بالإنسانيّة: الإنسانُ الأول وسائر تجلّيات الحقيقة المحمديّة. ولا يكاد ينقضي العَجب من مرض الفصل المُستحكِم بين البيت وأهل البيت.

نعم للأنسنة، ولا للتشيئة: من كلّ فجٍّ عميقٍ يتوافد ممثّلو الشعوب والأُمم إلى مواقيتَ كانت مُنطلقَ الأنبياء إلى حجّ البيت، ويُردِّدون تلبيةً هي حاصلُ تلبيات الأنبياء.

تبدأُ التلبيةُ مع لُبس ثوبَي الإحرام إيذاناً بالتجرّد من كلّ التعلّقات الطارئة، وإنْ كانت ضروريّة إلا أنّها متلازمة مع حاجات الإنسانيّة، وليست من جوهر الإنسانيّة.

التفريق بين الإنسان والشيء نقطةُ الإنطلاق إلى حجٍّ إنسانيّ وعالميّ. عولمةُ الحجّ للأُمم إنسانيّة. إنسانيّة الحجّ عالميّة، والمُختبَر الكعبة:

قال عليٌّ سِرُّ الإنسان الأوّل وسائر النبيّين: «ألا تَرونَ أنّ الله سبحانه اختبرَ الأوّلينَ من لَدُن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجارٍ لا تضرُّ ولا تنفع، ولا تُبصِر ولا تسمع، فجَعَلها بيتَه الحرام الذي جعلَه للناس قياماً، ثمّ وضعَه بأَوْعَرِ بقاع الأرض حجراً، وأَقَلِّ نتائق الأرض مَدَراً، وأضيقِ بطون الأودية قُطراً، بين جبالٍ خَشِنَة، ورمالٍ دَمِثَة، وعيونٍ وَشِلَة، وقُرىً منقطِعة، لا يزكو بها خُفٌّ، ولا حافرٌ ولا ظِلفٌ، ثمّ أمرَ آدمَ وولَدَه أن يثنوا أعطافهم نحوَه، فصارَ مَثابةً لِمُنتَجَعِ أسفارِهم، وغايةً لمُلقَى رحالهم. تهوي إليه ثمارُ الأفئدةِ من مَفاوِزِ قِفارٍ سحيقة، ومهاوي فِجاجٍ عميقة، وجزائرِ بحارٍ

مُنقطِعة، حتّى يهزُّوا مناكبهم ذُلّلاً يُهلِّلون لله حوله. ويَرمُلون على أقدامِهم شُعثاً غُبراً له، قد نبذوا السرابيلَ وراءَ ظهورِهم، وشوَّهوا بإعفاءِ الشُعور محاسنَ خَلْقِهم، ابتلاءً عظيماً، وامتحاناً شديداً، واختباراً مُبيناً، وتمحيصاً بليغاً، جعلَه الله سبباً لِرَحْمَتِه، وَوُصْلَةً إلى جنَّتِه. " . . " يختبرُ عبادَه بأنواعِ الشَدائد، ويتعبَّدُهم بأنواعِ المُجاهد، ويبتَليهم بضُروب المكاره، إخراجاً للتكبُّر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلُّل في نفوسهم، وَلِيَجْعَلَ ذلك أبواباً فُتُحاً إلى فضلِه، وأسباباً ذُلُلاً لِعفوِه، فاللهَ اللهَ في عاجلِ البَغي، وآجلِ وَخامةِ الظُلْم، وسوءِ عاقبةِ الكِبْر " . . " حرسَ اللهُ عبادَه المؤمنين بالصَلواتِ والزَكوات، ومجاهدةِ الصيامِ في الأيّام المفروضات تسكيناً لأطرافِهم، وتخشيعاً لأبصارِهم، وتذليلاً لنفوسِهم، وتخفيضاً لقلوبِهم، وإذهاباً للخُيَلاءِ عنهم، لِما في ذلك من تعفيرِ عِتاقِ الوجوه بالتراب تواضعاً، والْتِصاقِ كرائمِ الجَوارحِ بالأرضِ تَصاغُراً، ولُحوقِ البُطونِ بالمُتونِ من الصيام تَذَلُلاً، مع ما في الزكاة من صرفِ ثمراتِ الأرض وغيرِ ذلك إلى أهلِ المَسكنة والفَقر. انظروا إلى ما في هذه الأفعال من قَمْعِ نواجمِ الفَخر، وقَدْعِ [مَنْع] طَوالِعِ الكِبْر».

يريد الله من الحجّ أن يسلك العالَمون صراطَ الأنبياء. قال سرّ النبيِّين عليٌّ عليه السلام:

«فَلو رَخَّصَ اللهُ في الكِبْرِ لأحدٍ من عبادِه لَرَخَّصَ فيه لخاصّة أنبيائِه وأوليائِه، ولكنّه سبحانَه كَرِّهَ إليهم التكابرَ، ورَضِيَ لهم التواضع. فَأَلصقوا بالأرضِ خدودَهم، وعَفَّروا في التراب وجوهَهم، وخَفَضوا أجنحتَهم للمؤمنين، وكانوا أقواماً مُستَضعَفين " . . " ولقد دخلَ موسى بنُ عمرانَ ومعه أخوه هارونُ عليهما السلام على فرعون، وعليهما مَدارِعُ الصُوف، وبأيديهما العِصِيُّ، فَشَرَطا له. إنْ أَسْلَم. بقاءَ مُلكِه ودوامَ عِزِّه فقال: "ألا تَعجَبون من هذين يَشْرِطان لي دوامَ العِزِّ وبقاءَ المُلك، وهما بما تَرونَ من حالِ الفقرِ والذُلّ، فَهَلاَّ أُلقِيَ عليهما أَساوِرَةٌ من ذَهَب؟" إعظاماً للذَّهَبِ وَجَمْعِه، واحتقاراً للصُوفِ ولُبْسِه. وَلَو أرادَ اللهُ سبحانَه بأنبيائه حيثُ بعثَهم أن يفتحَ لهم كنوزَ الذُّهبان، ومعادنَ العِقْيان، ومَغارسَ الجِنان، وأن يحشرَ معهم طيورَ السماء، ووُحوشَ الأرضِ لَفَعَل، ولو فعلَ لَسَقَطَ البلاء، وبَطَلَ الجزاء، واضْمَحَلَّت الأنباء، ولَما وَجَبَ للقابلين أجورُ المُبتلين، ولا استحقَّ المؤمنون ثوابَ المُحسنين، ولا لَزِمَت الأسماءُ مَعانِيَها " . . " ولكنّ الله سبحانَه أرادَ أن يكونَ الاتّباعُ لِرُسُلِه، والتَصديقُ بكُتُبه، والخشوعُ لوَجْهِه، والإستكانةُ لأمرِه، والإستسلامُ لطاعتِه، أموراً له خاصّة، لا تشوبُها من غيرها شائبة. وكلّما كانت البَلوى والاختبارُ أعظَم، كانت المَثوبةُ والجزاءُ أَجْزَل. . ».

لِتَلْزَمَ الأسماءُ مَعانيَها: لا سبيلَ إلى حفظِ الإنسانيّة إلا إذا لَزِمت الأسماءُ معانيَها. «أَرِنا الأمورَ كما هي». فلا أَنسنةَ للشيء، ولاتشيئةَ للإنسان. ولا تُبنى القناعات على حُمَّى الأهواء والمُنى. ولا يُسمَحُ للإعلام والإعلان بأنْ يستلبا العقل. لا بدّ من اتّباعِ الأحسن: ﴿ . يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ . . ﴾ بحثاً عن الحقيقة من دون أن تصرعَ البهارجُ العقول، فكلُّ بَهرجةٍ تَحجُب، هي تدليسٌ يتوجَّبُ الحذرُ منه لتبقى للإنسان واقعيّة التواضع، ولا يقع في زُخرف الكِبْر وتدليسِه والتّشْيِئَة. بثوبَي الإحرام المُذكّرين بالمَبدأ والمعاد تبدأ رحلةُ عولمة الإنسانيّة عبر مناسك الحجّ، بدءاً من دخول الحرم، مروراً بمَنسك المعرفة والاعترافِ في عَرَفة، تحريراً للعقل وصياغةً للقلب، تمهيداً لصيانةِ المشاعر في المَشعرِ الحرام في سياقِ المعرفة التي صِيغت في عَرَفة، وهي معرفةٌ لا تنفصل عن الموضوعيّة التي يشير لها الاعتراف.

مروراً كذلك بوادي مُحَسِّر التي يجتازها الحاجُّ بعدَ المَشعر الحرام، حاملاً جمارَ الرَمي وحَصياتِه، تُذكِّرُه بحجارةٍ من سِجِّيل، ماضياً قُدُماً في رحلة التجرّد من كلّ الشوائب بحثاً عن لقاءِ الله مُخَضَّباً بدمِ الجهاد والشهادة.

ماءُ زَمزَم
أبعاده النبوية و خصائصه العلمية

تحقيق: أحمد الحسيني

يتناول الحديث عن بئر زمزم المعروفة، وأهمّيتها، تاريخ وجودها (حوالي ٢٠٠٠ ق. م.)، والأسباب التي أدّت إلى ظهورها، فشكّلت نواة حضارة المسلمين في مكّة المكرّمة بدءاً من نبيّ الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، وصولاً إلى رسول الله الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، مع وقفة وافية عند خصائص ماء زمزم.

جغرافيّة زمزم

أ ـ الموقع: تقع بئر زمزم داخل المسجد الحرام، إلى الجنوب الشرقيّ من الكعبة المشرّفة، قبال الركن الذي فيه الحجر الأسود، ومكتوب عليها في وقتنا الحاضر: «زمزم»، ويُفضي إليها عبر سُلَّم إسمنتي، يبتعد عن الكعبة ١٥ متراً تقريباً، فإذا هبطه الحاجّ أو المعتمر رأى البئر في آخر السرداب على يسار الداخل، وعلى البئر ألواح زجاجيّة سميكة.

ب ـ العمق: عمق زمزم من فتحة البئر إلى قعرها ثلاثون متراً، وقُطر البئر يختلف باختلاف العمق، وهو يتراوح بين ١،٥ م، و٢،٥ م.

ج ـ العيون التي تغذّي زمزم: العيون التي تغذّي زمزم ثلاث عيون هي: عينٌ تجري تحت الركن الذي فيه الحجر الأسود، وعينٌ من جهة جبل أبي قبيس والصّفا، وعين من جهة المَروة. ويأتي مزيد توضيح.

تاريخ ماء زمزم

أ- علاقة زمزم بالنبيّ إبراهيمعليه السلام: وَرد في القرآن الكريم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ إبراهيم:٣٧.

لماء زمزم علاقة وطيدة بقصة النبيّ إبراهيم عليه السلام وزوجته هاجر وابنهما إسماعيل عليه السلام. إذ يؤكّد القرآن الكريم أنّ الله تعالى أمر النبيّ إبراهيم بإسكان زوجته وابنه إسماعيل في جوار البيت الحرام، الأمر الذي

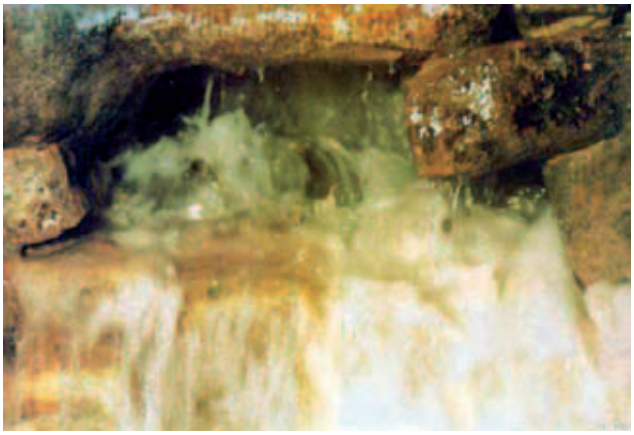

إحدى العيون التي تغذي «زمزم»

أدّى لاحقاً إلى نشوء حضارة العرب، ومهّد لبزوغ فجر الإسلام، فكان لا بدّ من إبقائهما هناك، ومن ثمّ رفع قواعد الكعبة لتكون محجّة للوافدين إلى مكّة.

ب- الرحيل إلى مكّة: في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ إبراهيم وآله حُملوا على البُراق إلى مكّة حَرم الله وأمنِه، وأوّلِ بقعة خلقها سبحانه وتعالى. ولمّا أراد إبراهيم عليه السلام الإنصراف عنهم، قالت له هاجر: يا إبراهيم، لِمَ تدعُنا في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع؟ فقال إبراهيم: الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان هو يكفيكم، ثم انصرف عنهم، فلمّا بلغ «ذي طوى» التفت إليهم فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ..﴾.

ج – البحث عن الماء: عندما ارتفع النهار عَطش إسماعيل، فخرجت أمّه حتى قامت على الصفا، وكان أقرب جبل يليها، ونظرت باتجاه الوادي متسائلة: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يُجبها أحد. وكان قد لمع لها

السراب فيه، وظنّت أنه ماء فمضت، ثم أتت المَروة فنادت مثل ذلك. فلم تُجَبْ، ثم رجعت إلى الصفا وقالت مثل ذلك.. حتى صنعت ذلك سبع مرّات، فأجرى الله ذلك سُنّةً في مناسك الحجّ .

فلمّا كانت في الشوط السابع وهي على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رِجليه، فجمعت

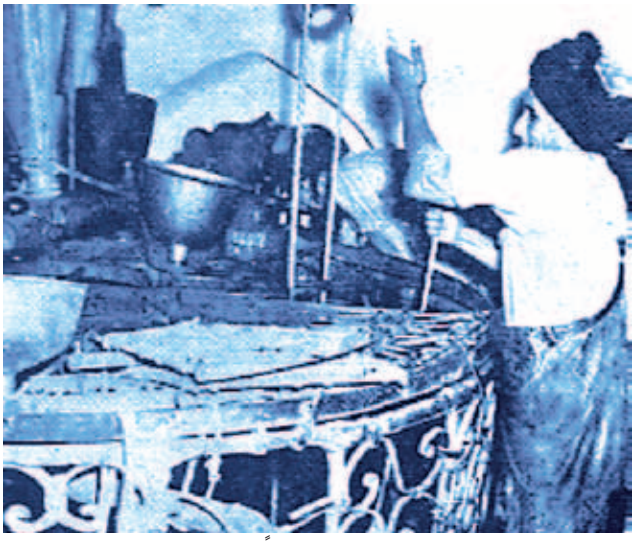

«زمزم» قديماً

حوله رملاً فزمّته بما جعلته حوله، فلذلك سُمّيت زمزم. وفي رواية أنّ جبريل هو من أظهر ماء زمزم، وقال لها: لا تخافوا الضَّيْعة، فإنّ هَهنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيّع أهله.

د- زمزم وعمران مكّة: عندما انفجرت زمزم، عكفت الطير عليها، وبهذه الإشارة علمت قبيلة «جُرهم» بوجود الماء، فاستأذنت هاجر بالبقاء في مكّة قرب الماء، فأذِنت لهم وشبّ بينهم إسماعيل وتزوّج امرأة منهم.

ولمّا قصد إبراهيم عليه السلام مكّة للاطمئنان على أهله، سُرّ بوجود قبيلة «جُرهم» فيها، وامتثل أمر الله تعالى بتجديد عمارة البيت الحرام، وعند فراغه منه كان دعاؤه كما في قوله تعالى: ﴿.. رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ..﴾ البقرة:١٢٦.

هـ - زمزم و«جرهم» بعد إسماعيل عليه السلام: انتعشت مكة بعد ظهور زمزم وإقامة قبيلة «جُرهم» ومعها بنو قطوراء، أبناء عمّهم، وكانت ولاية البيت أول الأمر لنابت بن إسماعيل، ثم وَلِيَها من بعده مضاض بن عمرو الجرهمي، وقيل إنّه حمو إسماعيل عليه السلام، وكان الناس يمرّون بمكة فيُطعمُهم أهلها من الطعام ويُسقونهم من ماء زمزم. لكنّ الشرّ ما لبث أن وقع بين قبيلة «جُرهم» وقبيلة «قطوراء»، فاقتتلا في موضع خارج مكة، وكانت الغَلبة لـ «جُرهم». ثم إنّ «جُرهماً» بغت بمكّة، وأحلّت الحرام، وظلمت من دخل مكّة من غير أهلها، وأكلت ما يُهدى إلى الكعبة من أموال، فوعظهم مُضاض الجرهميّ، وحذّرهم من البغي والظلم، لكنهم طغوا وتجبّروا، ولم يلتفتوا إلى كلامه، وكانت زمزم نضبت لكثرة ذنوبهم، فلما رأى مضاض الجرهميّ أعمال قبيلته في الحَرم، عمد إلى غزالين من ذهب وأسياف ثمينة كانت في الكعبة، فدفنها في موضع زمزم الدارس، وانطلق هو ومَن معه خارج مكّة.

وفي مرحلة لاحقة تجرّأت «خُزاعة» على قتال «جُرهم» للفساد الذي أصابها، فغلبتْها وأخرجتها من مكّة. وظلّ موضع زمزم لا يُعرف لعهود طويلة.

و- زمزم في عهد عبد المطّلب: عزم عبد المطّلب جدّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حفر زمزم أو الكشف عنها بعدما رأى في المنام غير مرّة مَن يأمره بذلك، وكان موضعها آنذاك لا يُعرف لتقادم الزمان.

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «بينا عبد المطلب نائم في الحجر، أُتِيَ فقيل له: احفر برّة. فقال: وما برّة؟ ثمّ ذهبَ عنه، حتى إذا كان الغد نام في مضجعه ذلك، فأُتي فقيل له: احفر المضنونة، فقال: وما مضنونة؟ ثم ذهب عنه، حتى إذا كان الغد عاد فنام في مضجعه، فأُتي فقيل له: احفر طيبة، فقال: وما طيبة؟ ثمّ ذهب عنه، فلمّا كان الغد عاد لمضجعه فنام فيه، فأُتي فقيل له: احفر زمزم، فقال: وما زمزم؟ فقال: لا تَنْزِف ولا تذم. ثمّ نعت له موضعها، فقام فحفر حيث نُعِت له، فقالت له قريش: ما هذا يا عبد المطلب؟ فقال: أُمرتُ بحفر زمزم، فلمّا كشف عنه وأبصروا الطويّ [البئر] قالوا: يا عبد المطّلب، إنّ لنا حقّاً فيها معك، إنها لَبئرُ أبينا إسماعيل! فقال: ما هي لكم، لقد خُصِصتُ بها دونكم».

واستخرج عبد المطلب الغزالين والسيوف التي

دفنها مضاض الجُرهميّ في زمزم، وكانت من نصيب الكعبة المشرّفة.

ورُوي «أنّ زمزم لما حُفِرَتْ وأَدرك منها عبد المطلب ما أدرك، بنى عليها حوضاً وملأَه من ماء زمزم وشرب منه الحاجُّ فحسده قوم من قريش فهدّموه، فأَصلحه فهدّموه باللّيل، فلما أَصبح أَصلحه، فلمّا طال عليه ذلك دعا ربه فأُرِيَ في المنام أَن يقول: (أللّهمّ إِني لا أُحِلُّها لمغتسلٍ وهي لشارب حِلٌّ وبِلٌّ،

المدخل القديم لبئر زمزم

فإِنّك تكفي أَمْرَهم)، فلمّا أَصبح عبد المطلب نادى بالذي رأَى، فلم يكن أَحد من قريش يقرب حوضه إِلا رُميَ في بَدَنه فتركوا حوضَه».

فضلُ ماء زمزم

- عن رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شُرِب له»، وفي رواية: «..دواءٌ لِما شُرب له».
- وعنه ﷺ: «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام الطعِم، وشفاء السقم».
- عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «ماء زمزم خير ماء على وجه الأرض...».
- وعنه عليه السلام: «.. فلا تشربوه إذا عتق».
- سأل الإمام زين العابدين عليه السلام أحدَ أصحابه بعد أدائه مناسك الحجّ: أَشْرَفْتَ على بئر زمزم وشربت من مائها؟ قال: نعم. قال عليه السلام: نويتَ أنّك أشرفتَ على الطاعة، وغضضتَ طَرْفك عن المعصية؟ قال: لا. فقال عليه السلام: فما أشرفتَ عليها ولا شربتَ من مائها.
- عن الإمام الباقر عليه السلام: «كان النبيّ ﷺ يستهدي من ماء زمزم وهو بالمدينة».
- عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا فرغ الرجل من طوافه وصلّى ركعتين فليأتِ زمزم ويَستَقِ منه ذَنُوباً [دلواً] أو ذَنُوبَيْن وليشرب منه، وليصبّ على رأسه وظهره وبطنه ويقول: (أَللّهُمَّ اجْعَلْهُ عِلْماً نافِعاً ورِزْقاً واسعاً وشِفَاءً منْ كُلِّ داءٍ وسُقمٍ)، ثمّ يعود إلى الحجر الأسود».
- وعنه عليه السلام أنّه ذكر ماء زمزم فقال: «تجري إليها عينٌ من تحت الحجر [الأسود]، فإذا غلب ماءُ العين عَذُبَ ماء زمزم».
- قال الراوي: «رأيت أبا جعفر الثاني [الإمام الجواد] عليه السلام ليلة الزيارة، طاف طواف النساء، وصلّى خلف المقام، ثمّ دخل زمزم فاستقى منها بيده بالدّلو الذي يلي الحجر وشرب منه، وصبّ على بعض جسده، ثمّ اطّلعَ في زمزم مرّتين، وأخبرني بعض أصحابنا أنه رآه بعد ذلك بسنة فعل مثل ذلك».

ويُنقل عن بعض المعتكفين ـ قديماً ـ في المسجد الحرام، أنّهم كانوا يشربون من زمزم بنيّة سدّ الجوع، فيقدر الواحد منهم على السهر وأداء عباداته كافة من غير أن يدخل جوفه شيء من الطعام، بل ذهب بعضهم إلى القول إنّ مفعوله يُشبه مفعول السويق أو اللبن أو العسل المصفّى. لكنهم في الوقت نفسه يشترطون على شاربه أن يكون موقناً صادق الإيمان والنيّة، غير مكذّب لخاصيّته، ولا يفعل ذلك كنوع من التجربة.

ماء زمزم في الدراسات الحديثة

أ- حيرة الجيولوجيّين: التحديد المتقدّم في مُستَهلّ هذا التحقيق هو تحديد عيون زمزم في القرن الثالث الهجري وما قبله، أمّا التحديد الجديد الذي جرى عام ١٤٠٠ هـ فيصفه خبير المياه الدكتور يحيى كوشك بقوله: «المصدر الرئيسيّ: فتحة باتّجاه الرُكن الغربي للكعبة المُشرّفة ـ الحجر الأسود ـ وطولها ٤٥ سم، وارتفاعها ٣٠ سم، ويتدفّق منها القدر الأكبر من المياه، والمصدر الثاني: فتحة كبيرة باتجاه المكبّريّة [موضع رفع الأذان، أي من جهة الصفا] وبطول ٧٠ سم، ومقسومة من الداخل إلى فتحتين، وارتفاعها ٣٠ سم. وهناك فتحات صغيرة بين أحجار البناء في البئر تخرج منها المياه، خمس منها في المسافة التي بين

الفتحتين الأساسيّتين، وقدرها متر واحد، كما يوجد ٢١ فتحة أخرى، تبدأ من جوار الفتحة الأساسية الأولى، وباتجاه جبل أبي قبيس والصفا والمروة».

يكتسب كلام الدكتور كوشك عن المصدر الرئيسيّ تحت الحجر الأسود مصداقيّته بملاحظة ما رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الاطّلاع في بئر زمزم يذهب بالداء، فاشربوا من مائها ممّا يلي الركن الذي فيه الحجر الأسود، فإنّ تحت الحجر أربعة أنهار من الجنة: الفرات، والنيل، وسيحان، وجيحان».

ويعتقد الدكتور كوشك الذي ألّف كتاباً بعنوان: «زمزم» أنّ المصدر الأصيل للبئر هو الجبال المحيطة بمكّة المكرّمة والتصدّعات الصخريّة الموجودة فيها، لكنّه يُشير ـ مستغرباً ـ إلى أنّ مصادر البئر لا تُفسّر كميّة المياه الموجودة فيها، ويتحدّث عن مضخّات ضخمة شُغّلت إبّان توسعة الحرم الشريف لتجفيف مياه البئر تمهيداً لوضع أساسات المباني الجديدة، إلا أنّ البئر كانت تعود لتمتلىء في غضون دقائق.

يقول كوشك: «لن أنسى ما حَييت هذا المنظر الرهيب، كانت المياه تتدفّق [من قعر البئر الرمليّ] بكميّات لم يكن يتخيّلها أحد، وكان صوت المياه وهي تتدفّق بقوّة يصمّ الآذان».

ويقف الجيولوجيّون حائرين أمام ظاهرتين: أنّ مياه البئر تفيض منذ آلاف السنين من غير أن تنضب أو ينخفض منسوبها، وأنّ كلّ المياه التي تختلط بماء زمزم تكتسب من فورها خصائصه؛ من حيث نقاوتُها ونسبةُ المعادن فيها.

من جهة ثانية، يُسهب المختصّون ـ الذين عاينوا واختبروا البئر ومياهها ـ في الحديث عن الخصائص التي لا يجد العلم الحديث تفسيراً لها، من قبيل انعدام الفطريّات أو الجراثيم في قعر البئر وفي المياه المستخرجة منها، وأنّ كميّة الأملاح والمعادن فيها ثابتةٌ لا تتغيّر، وأنّ مياه سائر الآبار القريبة منها ـ فضلاً عن البعيدة ـ لا تتمتّع بخصائص ماء زمزم، على الرغم من الإفتراض القائل بأن مصادرهما لا بدّ وأن تكون واحدة، ومثال ذلك: بئر «الداؤدية» الذي لا يبعد سوى ١٢٠ متراً عن بئر زمزم.

وينقل أحد المتتبّعين عن المهندس فخري بخش مدير مبيعات مياه (أفيان) الفرنسيّة في «شركة البحراوي» السعوديّة قوله: «إنّ شركة فرنسيّة اخترعت جهازاً دقيقاً للغاية في تحليل تركيب المياه، وجاءت إلى السعوديّة لتسويقه. وقام ممثّل الشركة بعرض إمكانيّات الجهاز الحديث أمام مندوبي وكلاء المياه المُحلاة والمعدنيّة المستورَدة الى السوق المحليّة تبيّن فيه أن ماء زمزم كان أنقى المياه التي تمّ تحليلها في هذا الجهاز».

ب- «لا يُمكن أن يكون ماء زمزم عاديّاً»: بعد حضوره النُدوة العلميّة التي نظّمتها «كليّة دار الحكمة» للبنات بمدينة جدّة عن أبحاث الماء بتقنية «النانو»، وبحضور أكثر من ٥٠٠ من الباحثين والمهتمين في الجامعات ومراكز البحث العلمي، أكّد العالم الياباني مسارو

قعر «زمزم»

إيموتو، مؤلّف كتاب «رسائل من الماء» أنّ ماء زمزم يمتاز بخاصيّة علميّة لا توجد في الماء العادي، مشيراً إلى أن الدّراسات والبحوث العلميّة التي أجراها على ماء زمزم بتقنية «النانو» لم تستطع تغيير أيٍّ من خواصّه، وأنّ قطرةً منه حين إضافتها إلى ألف قطرة من الماء العاديّ تجعلُه يكتسب خصائص ماء زمزم.

وأوضح إيموتو الذي أجرى سلسلة بحوث ودراسات على ماء زمزم، أنّه فريد ومتميّز، ولا يشبه في بلّوراته أي نوع من المياه في العالم، أيّا كان مصدرها، وهي تمثّل أشكالاً رائعة، لذلك لا يمكن أن يكون ماء زمزم عاديّاً.

أسماء ماء زمزم

خُصَّت زمزم بأسماء كثيرة حتى ذكروا لها أكثر من أربعة وخمسين اسماً. وهذه الأسماء تعود إلى فضائل زمزم وخصائصها، ونذكر بعضها مرتّبة وفق حروف الهجاء:

بَرَّة: وذلك لكثرة منافعها وسَعة مائها، وقيل لأنها فاضت للأبرار، وغاضت عن الفجّار، وقيل مأخوذة من البِرّ، لأنّ الله تعالى بَرَّ بها إسماعيل عليه السلام.

بشرى: لأنّها بشرى هاجر، لمّا رأته فرحت واستبشرت.

حفيرة إسماعيل: لأنّ إسماعيل عليه السلام حفر برِجليه الأرض ففاضت زمزم.

حفيرة عبد المطّلب: لأنّ عبد المطلب حفرها بعدما اندرست.

ركضة جبرئيل: أصل الركض الضرب بالرِجل والإصابة بها. سُمّيت زمزم بهذا الاسم لأنّ جبرئيل ضرب الأرض بجناحه فانفجر ماؤها.

الرّواء: الماء الكثير المرويّ.

زمزم وزُمازِم: سُمّيت زمزم لكثرة مائها؛ يقال: ماء زمزم وزُمازِم. وقيل: سُمّيت بذلك لأن هاجر أمّ إسماعيل عليهما السلام، ضمّت ماءها حين انفجرت، وزمّتها كي لا تسيح، وقيل: بل من زمزمة جبريل وكلامه عليها، وقيل: لصوت الماء فيها حين ظهر.

سابق: لأنّ ماء زمزم له التقدّم والسّبق والفضل على غيره من المياه.

سالمة: من أصل السلامة وهي العافية.

سقيا الله إسماعيل: لأنّ الله تعالى سقى إسماعيل عليه السلام وأمّه بهذا الماء وأغاثهما به.

سِقاية الحاج: لأنّها تسقي الحجيج الأعظم.

سيّدة: لأنّها سيّدة المياه كلّها، وأفضلها، وأشرفها، وأكرمها.

شبّاعة: لأنّها تروي وتُشبع.

شراب الأبرار: لأن غالب أهل الخير والصلاح يحرصون على شرب ماء زمزم.

شفاء سقم: لأنه يُتوسّل منها الشفاء.

صافية: لصفائها وخلوّها من الشوائب.

طاهرة: لأنّها منزّهة عن كلّ عيب.

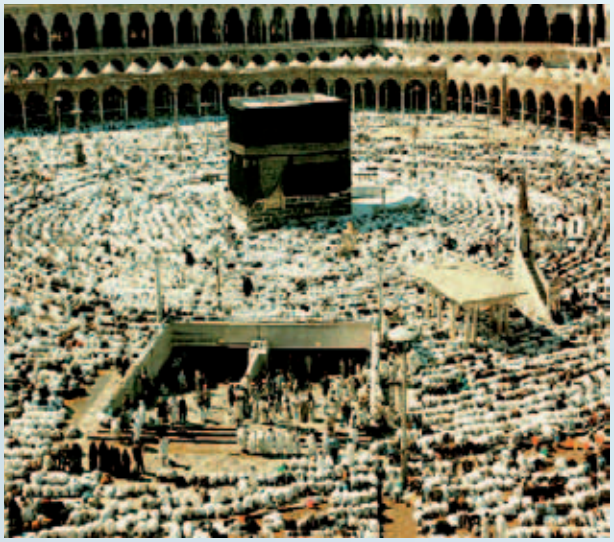

مدخل بئر زمزم قبل التغييرات الأخيرة

طعام طعم: لأنّ من شرب من مائها بنيّة الشبع، أَمِن من الجوع.

طيّبة: لأنّها زكيّة، ومستلذّة و محبّبة عند المؤمنين.

عاصمة: لأنّها تعصم من النفاق.

عافية: طلباً للعافية عند شرابها والاستشفاء.

عِصْمَة: يقال: عَصَمَه الطّعام: منعه من الجوع.

غياث: لأنها أغاثت هاجر وولدها إسماعيل عليهما السلام.

مُجلية البصر: لأنّها تجلو بصر من نظر إليها.

مضنونة: لأنّها ضُنَّ بها على غير المؤمنين. أي حُرم منها ومن بركاتها غير المؤمنين.

مُفَدّاة: لأن عبد المطّلب، بعد ما حفرها فدى ابنه عبد الله، والد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بمئة من الإبل، نحرَها وفرّقها.

مكتومة: لأنّها كانت قد اندفنت بعد «جُرهم»، وصارت مكتومة حتى أظهرها عبد المطّلب.

أعمال شهر ذي الحجة

من لوازم الإيمان.. اليقظة، وعلامتها المراقبة. ومراقبة الحق للخلق، تستدعي مراقبة النفس في محضر الحق، ويتوقف الثبات في خط مراقبة النفس، على مشارطة النفس ومحاسبتها. ولمراقبة النفس في محضر الحق، برامجها العملية الموزعة على ساعات العمر. وأبرز كتب المراقبات: كتاب «إقبال الأعمال» لسيد العلماء المراقبين، السيد ابن طاوس، و«المراقبات» للفقيه الكبير الشيخ الملكي التبريزي، وفي هديهما: هذا الباب.

ولي أمر المسلمين سماحة المرجع القائد السيد الخامنئي (دام ظله) خلال زيارته الأخيرة لمدينة قم المقدسة، يقرأ الفاتحة عند ضريح المقدس العارف الكبير آية الله الملكي التبريزي صاحب كتاب «المراقبات» و«لقاء الله» و«أسرار الصلاة».

«أمر هذا الشهر عظيمٌ جدّاً، وللمُراقبين في هذا المنزل مواقف يجبُ بحُكم العبوديّة وحق المراقبة أن لا يدخلوها مع الغَفلة، فيُضيّعوا حُرمَتَها، بل عليهم أن يُراقبوها قبل حلولها، ويُعدّوا لها عُدّتها قبل حضورها».

* تحتضن العشر الأوائل من الشهر: ليلةَ عرفة ويومَها، وليلةَ الأضحى ويومَه. و اليوم الثامن عشر عيد الله الأكبر، عيد الغدير والولاية. واليوم الرابع والعشرون يوم المباهلة. واليوم الخامس والعشرون يوم نزول ﴿هل أتى﴾. واليوم الأخير، وهو آخر يوم من السنة الهجريّة، وينبغي الإتيان فيه بالصلاة المخصوصة، لتشهدَ له سَنَتُه أنه قد ختمَها بخير.

العشر الأوائل من ذي الحجة

المراقبات: من جملة المواقف، العشر الأوَل منه، وهي المراد من قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ..﴾ البقرة:٢٠٣ والذِّكر لا يجتمع مع الغَفلة، فاحذر من أن تُدنِّس قلبك بالفضلات في هذا الشهر، لا سيّما بالمعصية، [ومن]

تمام الذِّكر أن تكون بعقلك وروحك وقلبك وقالبك ذاكراً اللهَ جلَّ جلالُه، إنّ لكلٍّ منها ذكراً خاصّة.

* وَصَلِّ في كلّ ليلة منها بين المغرب والعشاء ركعتين، تقرأ في كلِّ ركعةٍ منهما (فاتحة الكتاب) و(الإخلاص)، وقولَه تعالى: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾الأعراف:١٤٢، وإذا فعلت هذا شاركت الحاجّ في ثوابهم وإن لم تحجّ.

* وَصُمْ أوّلَ يوم منه فإنّه «**من صام أوّل يوم من العشر، عشر ذي الحجّة، كُتب له صوم ثمانين شهراً**».

* و يُستحَبُّ في اليوم الأوّل أنْ يُصلّي صلاة فاطمة الزهراء عليها السلام، وهي أربع ركعات: بالحَمد مرّة وخمسين مرّة (قل هو الله أحد)، ويُسبِّح عُقيبها تسبيح الزهراء عليها السلام [ويقول]:

«سُبْحانَ ذي العزِّ الشّامخ المُنيف، سُبْحانَ ذي الجَلال الباذخ العَظيم، سُبْحانَ ذي المُلْك الفاخر القَديم، سُبْحانَ مَنْ يَرى أثَرَ النَّملة في الصَّفا، سُبْحانَ مَنْ يَرى وَقْعَ الطَّيْر في الهَواء، سُبْحانَ مَنْ هُوَ هكذا وَلا هكذا غَيْرُهُ».

* ويُستحبّ في هذه الأيّام كلّها الدّعاء الذي أوّلُه: «أللّهُمَّ إنَّ هذِهِ الأيّامُ الَّتي فَضَّلْتَها عَلى غَيْرِها» بعد صلاة الصبح والمغرب.

* عن الإمام الصادق عليه السلام: **إنّ الله أهدى إلى عيسى بن مريم ـ على نبيّنا وآله وعليهما السلام ـ خمس دعوات، جاء بها جبرئيل عليه السلام في أيّام العشر، فقال: يا عيسى ادعُ بهذه الخمس الدعوات، فإنّه ليس عبادة أحبّ إلى الله تعالى من عبادته في أيّام العشر ـ يعني عشر ذي الحجّة ـ:**

أوّلهن: «أشْهَد أنْ لا إلهَ إلاّ الله وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ».

والثانية: «أشْهَد أنْ لا إلهَ إلاّ الله وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، أحَداً صَمَداً لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَلا وَلَداً».

والثالثة: «أشْهَد أنْ لا إلهَ إلاّ الله وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، أحَداً صَمَداً لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أحَدٌ».

والرابعة: «أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ الله وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيي وَيُميتُ، وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ».

والخامسة: «حَسْبِيَ الله وَكَفى، سَمِعَ الله لِمَنْ دَعا، لَيْسَ وَراءَ الله مُنْتَهى، أشْهَدُ لله بِما دَعا، وَأنَّهُ بَريءٌ مِمَّنْ تَبَرَّأَ، وَأنَّ لله الآخِرَةَ وَالأُولى».

* ومن الأهمّ صومُ هذه الأيّام التسعة [خلا يوم العيد الذي يحرُم صيامه]، لا سيّما اليوم الأول، رُوي أنّ صومه يُكتب ثمانين شهراً، وصومُ التسعةِ صومُ الدهر، وصومُ التروية [اليوم الثامن] كفّارة ستّين سنة، وكلّ ذلك للرواية.

إقبال الأعمال: عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: من قال كلّ يوم من أيام العشر هذا التهليل:

لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ عَدَدَ اللَّيالي والدُّهُور، لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ عَدَدَ أمْواجِ البُحُور، لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ وَرَحْمَتُهُ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ، لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ عَدَدَ الشَّوْكِ والشَّجَر، لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ عَدَدَ الشَّعْرِ والوَبَر، لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ عَدَدَ الحَجَرِ والمَدَر، لا إلَهَ إلاَّ اللهُ عَدَدَ لَمْحِ العُيُون، لا إلهَ إلاَّ اللهُ في اللَّيْلِ إذا عَسْعَسَ والصُّبْحِ إذا تَنَفَّسَ، لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ عَدَدَ الرِّياحِ في البَرارِي والصُّخُور، لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ مِنَ اليَوْمِ إلى يَوْمِ يُنْفَخُ في الصُّور، [ثمّ أورد أمير المؤمنين عليه السلام ثواباً عظيماً يُبهر العقول].

ليلة عرفة ويومها

المراقبات: وأمّا ليلة عَرَفة، فرُوي أنّه يُستجابُ فيها كلُّ دعاءٍ بخير، ولِلعامل فيها بطاعة الله تعالى أجرُ سبعين ومائة سنة، وهي ليلة المناجاة، وفيها يتوب الله على مَن تاب. ويُستَحَبُّ فيها أن يدعو بالدعاء الذي أوّلُه: «اللّهُمَّ يَا شَاهِدَ كُلِّ نَجْوَى..».

وأمّا يومُ عرفة، فَمَن قدر فيه على حضور عرفات أو كربلاء، فذلك من أهمّ ما ينبغي فيه للدعاء، وهو يوم كأنّه محّض للدعاء، فَلِلمُراقب أنْ يستعدّ بكلّ ما يقدر عليه لهذا الموسم الجليل، والعُمدة في ذلك أن يُحصّل شرائط استجابة الدعاء، وأهميّة الدعاء في هذا اليوم بحيث منعوا مَن يُضعّفه الصوم عن الدعاء عن الصوم فيه، مع أنّ في بعض الأخبار الصحيحة المُعتمدة أنّ صومه كفّارة تسعين سنة.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن زار الحسين بن عليّ عليه السلام يوم عَرَفة، كتب الله عزّ وجلّ له ألف ألف حِجّة مع القائم عليه السلام، وألف ألف عُمرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وعَتْقَ ألف ألف نَسمَة، وحملان ألف ألف فرس في سبيل الله، وسمّاه الله: عبدي الصّدِّيق آمنٌ بوعدي..**»

ولكنّ الأَولى للزائر العارف أن يغتسل للزيارة وليوم عَرَفة، ويبتدئ بها، بحيث يُتمُّها إلى الزوال، فيَشرع من حين الزوال إلى مقدّمات الصلاة والدعاء. ".." و ليُصلِّ ركعتين تحت السماء ثم يأتي الحرم و يزوره عليه السلام ".." وإن كان في غير كربلاء، فليُصلِّ بعد الظهرين ونوافلها تحت السماء، ثمّ يأتي محلَّ دعائه، فليُبالغ في هاتين الركعتين فإنّها بمنزلة الهديّة يُهديها المُتشرّفُ بحضور المُلوك قبل الحضور.

...أقول: فليُلاحظ العبد حالَه، فإنْ نشط لمُفصّلات ما ورد فيه؛ من حَمْدِ الله، وتهليلِه، وتمجيدِه والثناء عليه، أولاً إجمالاً، ثمّ يُكبّر مائة مرّة، ثمّ يحمد كذلك مائة، ويسبّح كذلك، ويُهلّل كذلك، ويقرأ (قل هو الله أحد) مائة مرّة، وسورة القدر مائة مرّة، [و] في روايةٍ آية الكرسي مائة مرّة، ويُصلّي على النبيّ وآله مائة مرّة.

وإنْ وجدتَ في نفسك كسلاً عن ذلك، فاقتَصِر بالتكبير والتهليل، والتحميد والتسبيح والصلوات، وَلْتَكُن مع الحضور والصّدق والإخلاص، ثمّ اقرأ من الدعوات المأثورة ما يقتضيه نشاطُك عن قلبٍ حاضر، وعن تدبُّرٍ وتفهُّمٍ لما تقول، ولا تترك دعاء الحسين عليه السلام مع ما أَلحق به العلامة، والسيد قدّس سرّه، فهو وإنْ لم يكن من دعاء الحسين عليه السلام، ولكنّ مضامينه عالية، وأَكْثِر الجدّ في فهم معانيها، فإنّها مَثارٌ للفكر الفاخر، ولا تترك دعاء الصحيفة السجّاديّة.

ليلة الأضحى ويومه

المراقبات: رُوي عن الصادق عليه السلام: «**أنّ عليّاً عليه الصلاة والسلام كان يُعجبُه أن يفرّغ نفسه أربعَ ليالٍ في السنة؛ وهي أوّل ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة الأضحى**»، والمُراد من الإحياء تفريغُ النفس والقلب والجوارح لِخِدمة الله جلّ جلالُه، بأن يكون قلبه مشغولاً بذكر الله، وبَدنُه وقفاً لطاعة الله وعبادتِه، ولا يغفل في شيء من ليلته بغير الله، حتّى بالمُباحات إلا لله وبالله، وهذا أوّل درجة المراقبة.

ويُستحبُّ فيها وفي يومها زيارةُ الحسين عليه السلام لِما رُوي عن الصادق عليه السلام أنّه «**مَن زار الحسين عليه السلام ليلةً من ثلاث، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر**»، قال الراوي: أيّ الليالي؟ فذكر عليه السلام ليلة الأضحى.

وأمّا يوم العيد، فهو من مواسم نداء الله ـ جلّ سلطانه وعَظُمت آلاؤه ـ عبيدَه وإماءَه بالإذن العامّ، والفيضِ الخاصّ، لِمَغفرة الذنوب، والفوزِ بالمأمول. ومن مُهمّاته الغسلُ وصلاةُ العيد وقراءةُ دعاء الندبة.

اليوم الثامن عشر: عيد الغدير

المراقبات: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**يوم غدير خمّ أفضل أعياد أُمّتي، هو اليوم الذي أمرني الله فيه بنَصب أخي عليّ بن أبي طالب فيه عَلَماً لأُمّتي يهتدون به بعدي، وهو اليوم الذي أكملَ اللهُ فيه الدين، وَأَتَـمّ على أُمّتي فيه النعمة، وَرَضِيَ لهم الإسلام ديناً**»، ثمّ قال: «**معاشرَ الناس، إنّ علياً منّي وأنا من عليّ، خُلِقَ من طِينتي، وهو بعدي يُبيّن لهم ما اختلفوا فيه من سُنّتي، وهو أمير المؤمنين، وقائدُ الغُرِّ المُحَجَّلين، ويَعسوبُ المؤمنين، وخيرُ الوصيّين، وزوجُ سيّدة نساء العالمين، وأبو الأئمّة المهديّين**».

عن الإمام الصادق عليه السلام: «صومُ يوم غدير خمّ يعدِل صيامَ عمرِ الدنيا، لو عاش إنسانٌ عمْرَ الدنيا، ثمّ لو صام ما عمّرت الدنيا، لكان له ثوابُ ذلك، وصيامُه يعدِل عند الله عزّ وجلّ مائة حِجّة ومائة عُمرة، وهو عيدُ الله الأكبر، وما بعثَ اللهُ عزّ وجلّ نبيّاً إلا وتَعَبَّدَ في هذا اليوم، وعرفَ حُرمتَه، واسمُه في السماء يومُ العهدِ المَعهود، وفي الأرض يومُ الميثاق المأخوذ والجمعِ المشهود.

ومَن صلّى فيه ركعتين من قبلِ أن تزول الشمس بنصف ساعة شكراً لله عزّ وجلّ، ويقرأ في كلّ ركعة سورة الحمد عشراً و(قل هو الله أحد) عشراً، و(إنا أنزلناه في ليلة القدر) عشراً، وآيةَ الكرسيّ عشراً، عَدَلَتْ عند الله عزّ وجلّ مائة ألف حِجّة ومائة ألف عُمرة. وما سأل الله عزّ وجلّ حاجةً من حوائج الدنيا والآخرة كائنةً ما كانت إلا أتى الله عزّ وجلّ على قضائها في يُسرٍ وعافية، ومَن فَطَّرَ مؤمناً كان له ثوابُ مَن أطعمَ بِعددِهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين في حَرَم الله عزّ وجلّ، وسقاهم في يومٍ ذي مَسغَبَة، والدرهمُ فيه بمائة ألفِ درهم، ثمّ قال: لعلّك ترى أنّ الله عزّ وجلّ خَلَقَ يوماً أعظمَ حُرمةً منه؟ لا والله، لا والله، ثمّ قال: وَلْيَكُن من قولك إذا لقيتَ أخاك المؤمن: الحمدُ لله الذي أَكْرَمَنا بهذا اليوم، وَجَعَلَنا من المؤمنين، وَجَعَلَنا من المُوفين بعهدِه الذي عَهِدَه إلينا، وميثاقه الذي واثَقَنا به من ولاية وُلاة أمْرِه، والقُوّام بِقِسطه، ولم يجعلنا من الجاحدين والمُكذّبين بيوم الدين، ثم قال: وَلْيَكُنْ من دعائك في دُبُر الرّكعتين أن تقول:

«ربّنا إنّنا سمعنا منادياً يُنادي للإيمانِ أنْ آمنوا بِرَبِّكُم فآمنّا..» [الدعاء بتَمامه موجود في «الإقبال» و«المصباح» و«البلد الأمين»، وممّا وَرَدَ في كتاب «الإقبال» في خاتمة الدعاء]: ثمّ سَلْ بعدَ ذلك حوائجَك للآخرة والدنيا، فإنّها والله والله والله مَقضيّةٌ في هذا اليوم، ولا تَقْعُد عن الخير، وسارعْ إلى ذلك إنْ شاء الله تعالى».

اليوم الرابع والعشرون: يوم المُباهلة

إقبال الأعمال: يومُ مُباهلةِ النبيّ صلى الله عليه وآله لنصارى نجران يومٌ عظيم الشأن، اشتمل على عدّة آيات وكرامات، منها: أنّه كان أوّلَ مقامٍ فتح الله جلّ جلالُه فيه بابَ المُباهلة الفاصلة في هذه المِلّة الفاضلة، عندَ جُحود حُجَجِه وبيّناتِه. ومنها: أنّه يومٌ أظهَرَ فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله تخصيصَ أهل بيته بعُلُوِّ مقاماتِهم.

وأَصحُّ الروايات أنّه يوم أربعة وعشرين، وإذا أردتَ الزيارة فيه فابدأ بصوم ذلك اليوم شكراً لله تعالى، واغتَسِلْ والبسْ أنظفَ ثيابك، وتَطَيَّب بما قدرتَ عليه، وعليك السَكينة والوَقار، وتوجّه إلى مشهدِ وليٍّ من أولياء الله، أو موضعٍ خالٍ، أو جبلٍ عالٍ، أو وادٍ خضر، وعليك ألا تُقيم في منزلك، فإذا وصلتَ إلى المقام الذي تريد أداء الحقّ فيه، وطلب الحاجة والمسألة بهم عليهم السلام، فَصَلِّ ساعةً تدخل ركعتين بقراءةٍ وتسبيح، فإذا جلستَ في التشهّد وسلّمت فاستغفر الله سبعين مرّة، ثمّ تقف قائماً وترفع يديك وترمي طَرْفك نحو الهواء، وتقول:

الحمدُ لله الذي عَرَّفني ما كنتُ به جاهلاً . ولولا تعريفُك إيّايَ لَكُنْتُ من الهالكين . إذ قلتَ وقولُك الحقّ: ﴿ . .قُل لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى . . ﴾ ، فَبَيَّنتَ لي القَرابة، وقلت: ﴿ . .إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، فَبَيَّنتَ لي البيتَ بعد القرابة، ثمّ قلتَ وقولُك الحقُّ بِتَفَضُّلِك على خَلْقِك

وَأَردتَ معرفتَهم بالبيت والقرابة، فقلتَ وقولُك الحقّ: ﴿ .. [ﻗ] قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّه عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ ، فَلَكَ الشكر يا ربّ، وَلَكَ المَنُّ حيثُ هديتَني وأَرْشَدتَني، حتى لم يَخْفَ عليَّ الأهلُ والبيتُ والقَرابة، حتى عرَّفتَني نساءَهم، وأولادَهم، ورجالَهم. اَللّهمّ إنّي أتقرّبُ إليك بذلك المقام الذي لا يكون أعظمَ فضلاً منه للمؤمنين، ولا أكثرَ رحمةً لهم بتعريفك إيّاهم شأنه، فلولا هذا المقامُ المحمودُ الذي أنقذتَنا به، وَدَلَلْتَنا على اتّباع المُحقِّين من أهل بيت نبيّك وعترته، لَخصم أهلُ الإسلام، وظهرَتْ كلمةُ أهل الإلحاد، وفعلُ أُولي العناد، فلك الحمدُ والمَنُّ والشكرُ على نَعمائك وأياديك.

اَللّهمّ فَصَلِّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ الذين افترضتَ علينا طاعتَهم، وثبَّتَّنا بالقول الذي عرَّفونا، واجْزِ محمّداً وآله عليهم السلام منّا أفضلَ الجزاء، وَأَدخلنا في شفاعتهم دارَ كرامتك يا أرحم الراحمين.

اَللّهمّ هؤلاء أهلُ الكساء والعَباء يومَ المُباهلة، ومَن دخلَ من الإنس والملائكة المُقرَّبين، اجعلْهُم شفعاءَنا. أسألُك بحقّ ذلك المقام أنْ تغفرَ لي وترحمَني وتتوبَ عليَّ، إنّك أنت التوّاب الرّحيم.

اَللّهم إنّي أُشهدُك أنَّ أرواحَهُمْ وطينتَهم واحدة، وهم الشجرةُ التي طاب أصلُها وأغصانُها وأوراقُها. اَللّهمّ فارحمنا بحقّهم، فإنّك أقمتَهم حُجَجاً على خلقك، ودلائلَ على وَحدانيّتك، وباباً إلى المعجزات بعلمك، وأنت المُتفضِّلُ عليهم حيثُ أقمتَهم من بين خلقك فجعلتَهم مُطَهَّرين أصولاً وفروعاً ومَنبتاً، ثمّ أَكْرَمْتَهم بنورك، حتّى فضَّلتهم من بين أهل زمانهم، اَللّهمّ فإنّا قد تمسّكنا بكتابك وبعترة نبيّك الذين أقمتَهم لنا دليلاً وعَلَماً، وأَمَرْتَنا باتّباعهم، اَللّهمّ إنّا قد تَمسَّكنا فارزُقنا شفاعتَهم، ولا تُضلَّنا بعدَ إذْ هديتَنا، آمينَ ربَّ العالمين.

ثمّ تُصلّي عند كلّ دعاء [من أدعية يوم المُباهلة] ركعتين وتُقيم إلى انتصاف النهار، أو زوال الشمس، وقد قِيل إلى اصفرار الشمس، وكلّ ذلك حَسنٌ، فقد ورد في الروايات حول انصراف القوم عن مقامهم في يوم المباهلة.

* ومن أبرز أدعية يوم المُباهلة، دعاءُ رسول الله ﷺ،

وقد قال فيه الإمام الباقر عليه السلام: لو قلتُ إنَّ في هذا الدعاء الإسمَ الأكبر لَصَدَقْتُ، ولو عَلِمَ الناسُ ما فيه من الإجابة لاضطربوا على تعليمه بالأيدي، وإني لَأُقَدِّمُه بين يدَي حوائجي فينجح، وإنَّ جبرئيل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ فأَخبرَه بهذا الدعاء. قال: تخرج أنت ووصيُّك وسبطاك وابنتُك، وباهلِ القومَ وادعوا به ".." قال أبو عبد الله [الصادق] عليه السلام: فإذا دعوتُم فاجتهدوا في الدّعاء، فإنّ ما عند الله خيرٌ وأَبقى من كنوز العلم، فاشفعوا به واكتُموه من غير أهله؛ السفهاء والمنافقين..

الدعاء: «اَللّهمّ إنّي أَسأَلُك من بَهائك بأَبْهاهُ وَكُلُّ بَهائك بَهيّ..»

ثمّ أورد في «الإقبال» دعاء البهاء المعروف، وأورد في آخره ما يلي:

أسألُكَ بِبَهاء لا إلهَ إلا أنتَ يا لا إلهَ إلا أنت، أسألك بجَلال لا إله إلا أنت يا لا إله إلا أنت، أسألك بجَمال لا إله إلا أنت يا لا إله إلا أنت، أسألك بعَظَمة لا إله إلا أنت يا لا إله إلا أنت، أسألك بكَمال لا إله إلا أنت يا لا إله إلا أنت، أسألك بقَول لا إله إلا أنت

يا لا إله إلا أنت، أسألك بشَرَف لا إله إلا أنت يا لا إله إلا أنت، أسألك بعَلاء لا إله إلا أنت يا لا إله إلا أنت، أسألك بكلماتك لا إله إلا أنت يا لا إله إلا أنت، أسألك بعزّة لا إله إلا أنت يا لا إله إلا أنت، أسألك بلا اله الا أنت، يا اللهُ يا ربّاه (حتى ينقطع النَفس).

وتقول: أسألُك سيّدي فَليسَ مثلك شيء، وأسألك بكلّ دعوة دعاك بها نبيٌّ مُرسَل، أو مَلَكٌ مُقرَّب، أو مؤمنٌ امتَحَنْتَ قلبَه للإيمان اسْتَجَبْتَ دعوتَه منه، وأتوجّه إليك بمحمّد نبيِّك نبيِّ الرحمة، وأتقدَّمُ بين يدي حوائجي بمحمّد. يا محمّدُ يا رسولَ الله، بأبي أنتَ وأمّي، أتوَجَّهُ إلى ربّك وربّي، وأُقَدِّمُك بين يدَي حاجتي، يا ربّاهُ يا اللهُ يا ربّاه، أسألُك بكَ فليسَ كمثلك شيء، وأتوَجَّهُ إليك بمحمّد خليلك ونبيِّك نبيِّ الرحمة وبعترته، وأقدِّمهم بينَ يدَي حوائجي، وأسألُك بحياتك التي لا تموت، وبنُور وجهك الذي لا يُطفأ، وبالعَين التي لا تنام، أسألُك أن تُصلِّيَ على محمّد وآل محمّد قبلَ كلِّ شيء.

ثمّ تسألُ حاجتَك، تُقضى إن شاء الله.

* وفي اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجّة صدقةُ مولانا عليٍّ عليه السلام بالخاتم. رُوي عن الصادق عليه السلام صلاةُ رَكعتين في هذا اليوم قبل الزّوال بنصف ساعة، شُكراً لله على ما منَّ به عليه وخَصَّه به، يقرأ في كلّ ركعة أُمّ الكتاب [الفاتحة] مرّة واحدة، وعشر مرّات (قل هو الله أحد)، وعشر مرّات آية الكرسي إلى قوله تعالى: (هم فيها خالدون)، وعشر مرّات (إنّا أنزلناه في ليلة القدر)..

ليلة الخامس والعشرين

قال الشيخ الطوسي في «مصباح المتهجّد»: وفي ليلة خمس وعشرين منه تَصَدَّقَ أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام.

اليوم الخامس والعشرون

مصباح المتهجّد: في اليوم الخامس والعشرين منه نزلت فيهما وفي الحسن والحسين عليهما السلام سورة (هل أتى).

إقبال الأعمال: إعلمْ أنّ هذا يومٌ عظيمُ الشأن، أثنى الله جلّ جلالُه على خاصَّتِه ببيانِ لفظِ مقدّسِ القرآن، فهو يومٌ يَحسُنُ أنْ يتقرّب فيه إلى الله جلّ جلاله بصلوات الشكر، على ما وَهَبَ لأَهل الذِّكر ووُلاةِ الأمر. روينا بإسنادنا إلى شيخنا المفيد فيما ذكره في كتاب «حدائق الرياض وزهرة المُرتاض»: «وفي يوم الخامس والعشرين منه، نزلت في أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام سورة (هل أتى)، ويُستَحَبُّ صيامُه على ما أظهرَه الله تعالى ذِكرُه من فضل صَفوتِه وعِترة رسولِه حُجَّتِه على خلقِه».

اليوم الأخير

المراقبات: وليومِ آخرِ ذي الحجّة عملٌ مَرويٌّ مُهمٌّ عند أهل المُراقبة، وهو أن يصَلّي ركعتين بـ (فاتحة الكتاب) مرّة، و(الإخلاص) عشر مرّات، و(آية الكرسي) عشر مرّات، ثمّ يدعو ويقول: «اَللّهُمَّ ما عَمِلْتُ في هذه السَّنَة مِنْ عَمَلٍ نَهَيْتَني عَنْهُ وَلَمْ تَرْضَهُ، وَنَسيتُهُ وَلَمْ تَنْسَهُ، وَدَعَوْتَني إلى التَّوْبَة بَعْدَ اجْتِرائي عَلَيْكَ، اَللّهُمَّ فَإِنّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْهُ فَاغْفِرْ لي، وَما عَمِلْتُ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُني إِلَيْكَ فَاقْبَلْهُ مِنّي، وَلا تَقْطَعْ رَجائي مِنْكَ يا كَريمُ».

وَرُوي: مَن صلّى هذه الصلاة، ودعا هذا الدعاء، قال الشيطان: يا ويله، ما تعبتُ فيه هذه السَنة هَدَمَه أجمعَ بهذه الكلمات. وشَهِدت له السَنة الماضية بخير.

من مُستحبّات الحجّ

يُستحَبُّ أمام التوجّه إلى سفر الحجّ، بل كلِّ سَفر:

١- الاستخارة من الله تعالى في عافية (الدّعاء بطلب الخير والسلامة).

٢- والوصيّة، لِما في السفَر من الخطر.

٣- ويُستحَبُّ له الغسل أيضاً.

٤- ويُستحَبُّ له أيضاً الصدَقة، وأنْ يقولَ عند التصَدُّق: «أَللّهمّ إنّي اشتريتُ بهذه الصدَقة سلامَتي وسلامةَ ما معي، أَللّهمّ احفظْني واحفَظْ ما مَعي، وَسَلِّمْني وَسَلِّم ما مَعي، وَبَلِّغْني وَبَلِّغْ ما مَعي بِبَلاغك الحَسَن الجَميل».

والظاهرُ استحبابُ الصّدَقة مرّتين: إحداهما عندَ الخروج من باب الدار، وأخرى عند وضع رِجلِه في الرّكاب، بل مُقتضى بعضِ الروايات استحبابُها بعد المجيء سالماً أيضاً.

٥- يُستحَبُّ أيضاً (صلاة ركعتين): فعَن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما استَخلَفَ رجلٌ على أهلِه بخلافةٍ أفضل من رَكعتين يركعُهما إذا أراد الخروج إلى سفر، ويقول:** (أَللّهمّ إنّي أستودعُك نفسي وأهلي ومالي وذُرِيّتي ودُنياي وآخرتي وأمانتي وخاتمةَ عملي) **إلا أعطاه الله ما سأل**».

٦- ويُستحَبُّ أن يقف على باب داره ـ إنْ كان ـ وإلا فعَلَى الجهة التي يريد أن يتوجّه منها، ويقرأ فاتحةَ الكتاب أمامه وعن يمينه وعن شماله، وآية الكرسيّ كذلك.

قال الإمام الكاظم عليه السلام: «**لو كان الرَجل منكم إذا أراد سفراً قام على باب داره تلقاءَ وجهِه الذي يتوجّه له، فقَرَأَ الحمدَ أمامَه وعن يمينه وعن شِماله، وآيةَ الكُرسيّ أمامَه وعن يمينه وعن شماله، ثمّ قال:** (أَللّهمَّ احْفَظْني واحْفَظ ما معي، وَسَلِّمْني وَسَلِّم ما مَعي، وَبَلِّغْني وَبَلِّغ ما مَعي بِبَلاغك الحَسن الجَميل) **حفظَه الله وحفظَ ما مَعه، وبَلّغه وبَلَّغ ما مَعه، وسَلَّمه وسَلَّم ما معه. أَما رأيتَ الرَجلَ يُحفظ ولا يُحفظ ما معه، ويَسْلم ولا يَسْلَم ما معه، ويَبْلُغ ولا يبلغُ ما معه**».

ورواه في «الكافي» في موضع آخر بزيادة قراءة المعوّذتين والتوحيد أيضاً أمامه وعن يمينه وعن شماله. كلّ ذلك مضافاً إلى ما ورد في آية الكرسيّ، ومنه عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ لكلّ شيءٍ ذُرْوَةً، وهي ذروةُ القرآن، ومَن قرأها مرّة صرفَ الله عنه ألفَ مكروهٍ من مَكاره الدنيا، وألفَ مكروهٍ من مَكاره الآخرة، أيسرُ مكاره الدنيا الفقر، وأيسرُ مكاره الآخرة عذاب القبر، وإنّي لأستعين بها على صعود الدرَجة**». وإلى ما ورد أيضاً في (إنا أنزلناه) ومنه عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**لو أنّ رجلاً حَجَّ ماشياً فقرأ (إنّا أنزلناه)، ما وَجَدَ ألَمَ المَشي**» **وأنّه «ما قرأ أحدٌ إنا أنزلناه حين يركب دابّتَه إلا نزل منها سالماً مغفوراً له»**، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**لو كان شيءٌ يسبق القدر لقلت قارئُ إنّا أنزلناه حين يسافر ويخرج من منزله..**».

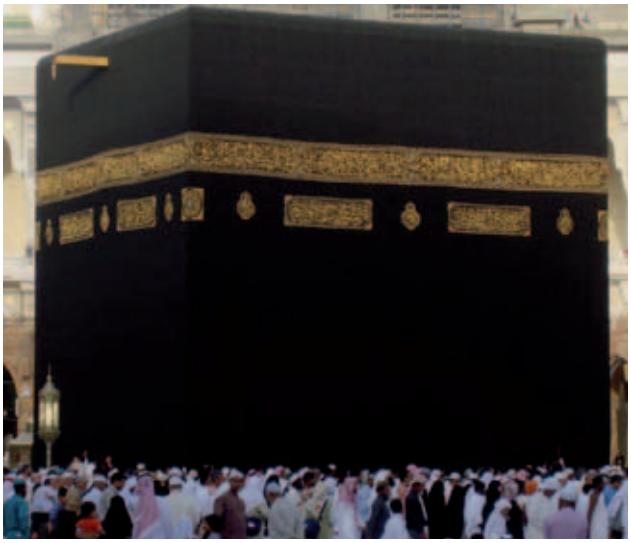

الكعبة المشرّفة ويظهر «مزراب الرحمة»

[و] كذا يُستحَبُّ أن يدعو بكلمات الفرج. قال الصادق عليه السلام في خبر صحيح: «**إذا خرجت من بيتك تريد الحجّ والعُمرة إنْ شاء الله، فادْعُ دعاءَ الفَرَج، وهو:** (لا إلهَ إلاَّ اللهُ الحَليمُ الكريمُ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ العَليُّ العَظيم، سُبْحانَ اللهِ رَبِّ السَّماواتِ السَّبْعِ، وَرَبِّ الأَرْضينَ السَّبْعِ، وَما فيهِنَّ وَما بَيْنَهُنَّ وَرَبِّ العَرْشِ العَظيم، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمين)، **ثمّ قُل:** (أَللّهُمَّ ، كُنْ لي جاراً ، مِن كُلِّ جَبّارٍ عَنيدٍ، وَمِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجيم)، **ثمّ قل:** (بِسْمِ اللهِ دَخَلْتُ، وَبِسْمِ اللهِ خَرَجْتُ وَفي سَبيلِ اللهِ، أَللّهُمَّ إنّي أُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيَّ، نِسْيانِي وَعَجَلَتي، بِسْمِ اللهِ، ما شاءَ اللهُ، في سَفَري هذا ذَكَرْتُهُ أَوْ

نَسِيتُهُ، أَللّهُمَّ أَنْتَ المُسْتَعَانُ على الأمور كُلِّهَا، وَأَنْتَ الصَّاحِبُ في السَفَر، وَالخَلِيفَةُ في الأَهْل، أَللّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا، وَاطْوِ لَنَا الأَرْضَ، وَسَيِّرْنَا فِيهَا بِطَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ، أَللّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا ظَهْرَنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. أَللّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَفَرِ، وَكَآبَةِ المُنْقَلَبِ، وَسُوءِ المَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالمَالِ وَالوَلَدِ، أَللّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَاصِرِي، بِكَ أَحِلُّ وَبِكَ أَسِيرُ، أَللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِي سَفَرِي هَذَا السُّرُورَ وَالعَمَلَ لِمَا يُرْضِيكَ عَنِّي، أَللّهُمَّ اقْطَعْ عَنِّي بُعْدَهُ وَمَشَقَّتَهُ، وَأَحْجِنِي [اصبَحْنِي] فِيهِ، وَأَخْلِفْنِي فِي أَهْلِي بِخَيْرٍ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ. أَللّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَهَذِهِ حَمَلاَوَتُكَ، وَالوَجْهُ وَجْهُكَ، وَالسَفَرُ إِلَيْكَ، وَقَدْ اطَّلَعْتَ على مَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرُكَ، فَاجْعَلْ سَفَرِي هَذَا كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الذُنُوبِ، وَكُنْ عَوْناً لِي عَلَيْهِ، وَاكْفِنِي دَعَتَهُ [وَعْثَهُ] وَمَشَقَّتَهُ، وَلَقِّنِي مِنَ القَوْلِ وَالعَمَلِ رِضَاكَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ، وَبِكَ وَلَكَ)».

وقال الرضا عليه السلام: «**إذا خرجتَ من منزلك في سَفرٍ أو حَضَرٍ فقُل**: (بسم الله، آمنتُ بالله، تَوَكَّلتُ على الله، ما شاء الله، لا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله)، فـ[مَن قال ذلك] **تَلقاه الشياطين فتضربُ الملائكةُ وجوهَها وتقول: ما سبيلُكم عليه وقد سمّى الله تعالى، وآمنَ به، وتَوَكَّل على الله تعالى، وقال: ما شاء الله، لا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله**».

الشيخ محمد حسن النجفي، «جواهر الكلام». (باختصار)

٧- **ويُستَحَبُّ ختمُ القرآن الكريم في مكّة**: عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**مَن ختَمَ القرآن بِمكّة من جمعة إلى جمعة، أو أقلّ من ذلك أو أكثر، وَختَمَه في يوم جمعة، كُتب له من الأجْر والحسنات من أوّل جمعة كانت في الدنيا إلى آخر جمعة تكون فيها، وإنْ ختَمَه في سائر الأيام فكذلك**».

الشيخ جعفر كاشف الغطاء، «كشف الغطاء».

٨- **أدب دخول المسجد الحرام**: عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا دخلتَ المسجدَ الحرام فادْخُلْهُ حافياً على السَكينة والوَقار والخشوع**». وقال: «**ومَن دخلَه بخشوع غفرَ الله له، إنْ شاء الله**» فَسأله الراوي: ما الخشوع؟ قال عليه السلام: «**السَكينة، لا تَدْخُلْهُ بِتَكَبُّرٍ، فإذا انتهيتَ إلى بابِ المسجدِ فَقُمْ وَقُلْ**: (السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، بِسْمِ اللهِ، وَبِاللهِ، وَمِنَ اللهِ، وَمَا شَاءَ اللهُ، وَالسَّلامُ على أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، وَالسَّلامُ على رَسُولِ اللهِ، وَالسَّلامُ على إبراهيمَ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ)، **فإذا دخلتَ المسجد فارفع يدَيك واستَقْبِلِ البيتَ وَقُلْ**: (أَللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ في مَقَامِي هذا، في أَوَّلِ مَنَاسِكِي، أَنْ تَقْبَلَ تَوْبَتِي، وَأَنْ تَتَجَاوَزَ عَنْ خَطِيئَتِي، وَتَضَعَ عَنِّي وِزْرِي، الحَمْدُ للهِ الذي بَلَّغَنِي بَيْتَهُ الحَرَامَ. أَللّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا بَيْتُكَ الحَرَامُ الذي جَعَلْتَهُ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَمُبَارَكاً، وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ. أَللّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَالبَلَدُ بَلَدُكَ، وَالبَيْتُ بَيْتُكَ، جِئْتُ أَطْلُبُ رَحْمَتَكَ، وَأَؤُمُّ [أَرُومُ] طَاعَتَكَ، مُطِيعاً لأَمْرِكَ، رَاضِياً بِقَدَرِكَ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ المُضْطَرِّ إِلَيْكَ، الخَائِفِ لِعُقُوبَتِكَ، أَللّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ وَمَرْضَاتِكَ)».

٩- **عند المُلْتَزَم**: قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا فرغتَ من طوافِك، وبلغتَ مؤخّرَ الكعبة وهو بِحِذاء المُستجار دون الرّكن اليمانيّ بقليل، فابسِطْ يديك على البيت، والصق بطنَك وخدَّك بالبيت وقل**: (أَللّهُمَّ البيتُ بيتُكَ، والعَبْدُ عَبدُكَ، وَهذا مكانُ العائذِ بِكَ من النّار)، **ثمّ أَقِرّ لِرَبِّك بما عملتَ، فإنّه ليس من عبدٍ مؤمنٍ يُقِرُّ لربّه بذنوبه في هذا المكان إلا غفر الله له، إنْ شاءَ الله، وتقول**: (أَللّهُمَّ مِنْ قِبَلِكَ الرَّوحُ والفَرَجُ والعافيةُ، أَللّهُمَّ إِنَّ عَمَلِي ضَعيفٌ فَضاعِفْهُ لِي، واغْفِر لِي ما اطَّلَعْتَ عَلَيْه مِنِّي وَخَفِيَ عَلى خَلْقِك) **ثمّ**

صورة قديمة للحجر الأسود

تستجيرُ بالله من النّار، وَتَخَيَّر لنفسك من الدعاء، ثمّ استَلِم الرّكن اليمانيّ، ثمّ ائتِ الحجرَ الأسود».

وعنه عليه السلام أنّه كان إذا انتهى إلى المُلتزَم قال لِمَواليه: «**أَميطوا عنّي حتّى أُقِرَّ لربّي بذنوبي في هذا المكان، فإنّ هذا مكانٌ لم يُقِرَّ عبدٌ لربِّه بذنوبه، ثمّ استغفر الله، إلا غفرَ اللهُ له**».

الشيخ هادي النجفي، «موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام».

الشَّفَاعَة

من أفضل الأمور التي ورد الحثُّ على الاهتمام بها والنهيُ عن الغفلة عنها، التفكّر بالموت وما بعد الموت. ولأن هذه الأمور تُورث خوفاً – محموداً – في النفس، فقد أبى مَن كتب على نفسه الرحمة، إلا أن يبشّر عبده بالشفاعة، إنْ هو استوفى شروطها. وهذه وقفة عند مبدأ الشفاعة، مع مقتطفات من كتاب «محكمة العدل الإلهي» للمرجع الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (دام ظلّه).

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ طه:١٠٩

إنَّ العقوبات الإلهيّة يوم القيامة ليست ذات طابع انتقاميّ، سواءً كانت عابرة أم طويلة الأمد أو أبديّة، وسواءً كانت جسميّة أم روحيّة، وسواءً اعتبرناها كآثار طبيعية للعمل أم وضعيّة، وقد وُضِعت بهدف تربية الإنسان، أو كضمانة لتنفيذ القوانين الإلهيّة الرامية إلى تنمية الكمال الإنساني.

ولهذا السبب، نرى سُبُل النجاة مشرعة أمام الإنسان – في الوقت الذي نرى فيه القرآن الكريم يصف العقوبات الإلهيّة بالشدّة – وتُمنح للمذنبين الفرصة للرجوع عن الخطأ وإصلاح أنفسهم، وسلوك الطريق المؤدّي إلى الله تعالى.

وتُعتَبر الشفاعة واحدةً من هذه الوسائل، لأنّها تعني في المفهوم الصحيح للكلمة إنذاراً للمذنبين بعدم هدم جسور العودة بأجمعها، والحفاظ على خطوط الإتصال مع أولياء الله، وإن وقعوا في بعض الذنوب فلا ييأسوا، وعليهم الشروع بالعودة حيثما كانوا، والمسارعة نحو رحمة الله الواسعة.

ومن هنا، فإنّ مبدأ الشفاعة بجميع تفاصيله ونقاطه التربويّة المثيرة التي وردت في آياتٍ كثيرة من القرآن الكريم، يصبّ في هذا السياق.

مفهوم الشفاعة: لو فكّرنا في المفهوم اللّغويّ الصحيح لكلمة الشفاعة، لاستطعنا الحصول على مدلولها الإسلاميّ، لأنّها مأخوذة من المصدر «شَفْع» ويعني «ضمّ الشيء إلى مثله»، ومن هنا تتضح ضرورة

وجود نوع من التشابه بين الإثنين رغم الفروقات الموجودة بينهما.

ولهذا السبب، فالشفاعة بمفهومها القرآنيّ تعني أنّ الشخص المذنب الذي يتّصف ببعض الجوانب الإيجابية (كالإيمان أو العمل الصالح) يشبه أولياء الله، وهم بدورهم يبذلون له العون، ويسوقونه نحو جادّة الكمال، ويطلبون له المغفرة من الله تعالى.

ويمكن وصف حقيقة الشفاعة بصيغة أخرى، فهي عبارة عن وقوف كائن أقوى وأفضل إلى جانب آخر أضعف، ليعينه على طيّ مراتب الكمال.

إنّ الشفاعة للأشخاص المخطئين موجودة في المجتمعات البشريّة على مرّ العصور، وربّما كان الأشخاص المتنفّذون يشفعون للمخطئين عند أصحاب السلطة قبل نزول القرآن بآلاف السنين، إلاّ أنّ الشفاعة السائدة بين أوساط الناس تختلف

عن الشفاعة في منطق القرآن والأديان السماويّة بفارق واحد مهمّ وواضح وهو: أنّ الشفاعة في المجتمعات الإنسانيّة غالباً ما يُقصد بها قبول شخص متنفّذ للحاجة إليه في وجهٍ من الوجوه، ولذلك تُقبل شفاعته للشخص المخطئ، لكن يستفيد من الشخص في الظرف المناسب لبلوغ غاياته.

وكذلك كان الشفعاء يأخذون بعين الاعتبار علاقتهم الشخصيّة بالمشفوع له، وليس أهليّته ومدى استحقاقه لها.

ولكن، لأنّ الله غنيّ بالذات وغير محتاج على الإطلاق، فالشفاعة لديه تأخذ طابعاً آخر، وهو أنّ الشفعاء لديه ينظرون إلى المخطئين ليروا مَن منهم ينال رضا الله بسبب بعض النقاط الإيجابيّة لديه كالإيمان والعمل الصالح، فيشفعون له عند الله لأجل هذه الجوانب الإيجابيّة، وهذا هو الفارق الشاسع بين الشفاعة المتداوَلة بين الناس وشفاعة أولياء الله لديه، إذ أنّ الأولى قائمة على العلاقات، في حين أنّ الثانية قائمة على الضوابط والاستحقاقات.

ومن هذا المنطلق، يمكن الرّد على بعض المنتقدين الجَهَلة، الذين يرون الشفاعة نوعاً من الوساطة، أو أنّها بمثابة الضوء الأخضر للمذنبين، وقارنوها بشفاعة حواشي الملوك المتجبّرين. فالأُسُس التي تقوم عليها الشفاعة في مفهومها الشرعيّ تُعتَبر بنّاءة ومبنيّة على عوامل اللّياقة والاستحقاق، في حين تنبع الشفاعة المتعارَفة بين الناس في أغلب أشكالها من الحاجة المتبادلة بين الطرفين، ومن العلاقات الخاصة والشخصيّة غير المنطقيّة.

بعث الأمل ومواجهة روح اليأس: كثيراً ما يتغلّب هوى النفس على الإنسان، ويدفعه إلى ارتكاب الذنوب الكبرى، فتتغلّب من بعد ذلك روح اليأس عليه، ممّا يدفعه إلى ارتكاب المزيد منها حتّى يغدو غارقاً في الذنوب، لأنه يتصوّر أنه قد تجاوز الحدّ وغرق، فماذا يفرق إن انغمس في الماء لقامة واحدة أو لمائة قامة؟

لكنّ الاعتقاد بشفاعة الأولياء يقدّم له الأمل، فإذا وقف عند هذا الحدّ وأصلح نفسه، فقد يُعفى عمّا سلف منه وذلك عن طريق شفاعة الأبرار والصالحين، وعلى هذا، فإنّ الأمل بالشفاعة يساعد على الكفّ عن ارتكاب المزيد من الذنوب والعودة إلى الصلاح والتقوى.

إيجاد العلاقة المعنوية مع أولياء الله: إنّ الشفاعة مرهونة بوجود نوع من العلاقة بين الشفيع والمشفوع له، وهي رابطة معنويّة منبثقة من الإيمان وبعض الخصال الفاضلة وفعل الحسنات.

ومن المؤكّد أنّ مُرتجي الشفاعة يسعى دائماً لإقامة نوع من العلاقة مع الشُفَعاء وفعل ما يرضيهم، ولا ينسف جسور العودة من خلفه، ولا يفسخ عُرى

ولا يشفعون إلا لمن ارتضى

الصداقة والمحبّة عن آخرها. وسيكون مجموع هذه الإجراءات عوامل مؤثّرة في تربيته، وسبب لابتعاده عن صفّ المجرمين بالتدريج، أو أن يقوم على أقل تقدير ببعض الأعمال الصالحة إلى جانب المعاصي والذنوب، لإنقاذ نفسه بالتدريج من الوقوع في حبائل الشيطان.

الاهتمام بسلسلة الشفعاء: جاء في حديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «الشفعاء خمسة: القرآن، والرّحِم، والأمانة، ونبيّكم، وأهل بيت نبيّكم».

وفي حديث آخر عنه صلّى الله عليه وآله: «تعلّموا القرآن فإنّه شافع يوم القيامة».

ويُستفاد من عدّة روايات أخرى بأنّ أفضل الشفاعة التوبة، فعن أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام: «لا شفيع أنجح من التوبة».

وصرّحت بعض الأحاديث أيضاً بشفاعة الأنبياء

والأوصياء والمؤمنين والملائكة، كالحديث المنقول عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «الشفاعة للأنبياء والأوصياء والمؤمنين والملائكة، وفي المؤمنين من يشفع في مثل ربيعة ومُضر، وأقلّ المؤمنين شفاعة مَن يشفع في ثلاثين إنساناً».

و في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة بعث الله العالِم والعابد، فإذا وقفا بين يدي الله عزّ وجلّ قِيل للعابد: إنطلق إلى الجنة، وقيل للعالِم: قِفْ تشفع للناس بحُسن تأديبك لهم». يظهر من هذه التعابير، وخاصة الأخير منها، أنّ الشفاعة نتاج العلاقة المعنويّة القائمة مع الصُلَحاء والمؤمنين والعلماء.

وصفوة القول التي يمكن استخلاصها من مجموع هذه الروايات وغيرها، الواردة في المصادر الإسلاميّة، أنّ الشفاعة من المسائل التربويّة المهمّة في الإسلام، والتي تعكس القِيَم الإسلاميّة السامية من خلال الاهتمام بنوع الشُفَعاء، وتحثّ المسلمين على الالتزام بهذه القِيَم والصفات التي يتمتّع بها الشُفَعاء، وتشجّع على تقوية وتوثيق العلاقات معهم، وتجلو عنها كلّ تفسيرٍ خاطئ، وتحريفٍ باطل.

متى تكون الشفاعة؟: لا شك في أنّ أحد الأوقات التي تتحقّق فيه الشفاعة هو يوم القيامة، وذلك لأنّ الكثير من آيات الشفاعة تختصّ بذلك اليوم. ولكن هل تحصل أيضاً في عالم البرزخ أو في عالم الدنيا؟ وهل هناك شفاعة في الآخرة وقبل انتهاء الحساب أم لا؟

للعلامة الطباطبائي بحث مفصّل في هذا الصدد، وفي ختامه يستنتج ما يلي:

إنّ الشفاعة تكون في آخر موقف من مواقف يوم القيامة باستيهاب المغفرة بالمنع من دخول النار، أو إخراج بعض مَن كان داخلاً فيها، باتّساع الرحمة أو ظهور الكرامة.

ويشير في بعض كلماته إلى عالَم البرزخ وما يدلّ على حضور النبيّ صلّى الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام عند الموت، وعند مساءلة القبر، وإعانتهم إياه على الشدائد.

ويضيف: «فليس من الشفاعة عند الله في شيء، وإنّما هو من سبيل التصرّفات والحكومة الموهوبة لهم بإذن الله سبحانه». (تفسير الميزان).

وعلى أية حال، يُستشفّ من مجموع الآيات والروايات أنّ الشفاعة – بالمعنى الواسع للكلمة – تتحقّق في العوالم الثلاثة (الدنيا والبرزخ والآخرة)، رغم أنّ الموضع الأصل والأثر المهمّ لها هو في يوم القيامة لِغَرَض النجاة من عذاب النار.

لِمَن الشفاعة؟ قد يقول قائل: إذا كانت الشفاعة للشخص النادم على الذنب، فهو في غِنىً عنها، لأن التوبة تعني الندم وهي سبب الخلاص. وإذا وُجدت التوبة فما الحاجة للشفاعة؟ وإن كانت لِمَن هو غير نادم على الذنب، بل يقف أمامه بكل صلافة وجسارة، فمثل هذا الشخص لا يستحقّ الشفاعة، وهو ليس مصداقاً لقوله عزّ وجلّ: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٨.

وللرّد على هذا الإعتراض: أوّلاً: إنّ للتوبة شروطها، وكثيراً ما يُخفق الإنسان في تحقيق كلّ تلك الشروط. فلقد نصّ القرآن الكريم على أنّ التوبة إصلاح الماضي، أي لو أنّ أحداً كان يرتكب الذنوب لسنوات متمادية، ثمّ دخل باب التوبة نادماً، لَوَجَب عليه إصلاح ما مضى، أي تأدية حقوق الله تعالى بفعل الخير، وتأدية حقوق الناس عن آخرها. وعلى هذا، فالتوبة، وخلافاً للتصوّر السائد، لا تقتصر على الندم وحده. وما أكثر الذين يفشلون في تحقيق هذا الإصلاح، فبينما هم غارقون في الندم، يسقطون في اليأس من الغفران، إن لم تشملهم الشفاعة، وإذا يئس هؤلاء، توغّلوا أكثر فأكثر في ارتكاب الذنوب.

ثانياً: قد يكون الشخص ارتكب ذنوباً كثيرة، إلا أنّ الحظّ لم يحالفه في التوبة والندم، فإنْ شعر بإمكان الأخذ بيده يوم القيامة، أو أنّ فعل الخير متاحٌ له، فهذا سيُشجّعه ـ على أقل تقدير ـ على ترك الذنوب الأخرى والتزوّد من الحسنات.

موجز في التعريف بالسور

سـورة الأعـراف

«سورة الأعراف مكيّة- إلاّ آيات قيل إنها مدنية- وهي مائتان وست آيات "..." تتضمّن طرفاً عالياً من المعارف الإلهيّة؛ منها وصفُ إبليس وقَبيلِه، ووصفُ الساعة والميزان والأعراف، وعالم الذَّرِّ والميثاق، ووصفُ الذاكرين لله، وذكرُ العرش، وذكر التجلّي، وذكر الأسماء الحسنى، وذكرُ أنّ للقرآن تأويلاً، إلى غير ذلك. وهي تشتملُ على ذكرٍ إجماليٍّ من الواجبات والمُحرّمات..».

الأعراف في الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ الأعراف:٤٤-٤٩.

فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بينهما

تفسير «نور الثّقلين»:

* سُئل أبو الحسن عليه السلام عن قوله: ﴿..فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قال: المؤذّن أمير المؤمنين عليه السلام.

* ﴿..فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ ..﴾ الآية، "..." عن عليٍّ عليه السلام أنّه قال: أنا ذلك المؤذّن.

* خطبة لعليٍّ عليه السلام يذكر فيها نِعَمَ الله عزّ وجلّ عليه،

وفيها يقول عليه السلام: ألا وإنّي مخصوصٌ في القرآن بأسماء، احذروا أن تُغلَبوا عليها فتَضِلُّوا في دينكم، وأنا المُؤذِّن في الدنيا والآخرة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿..فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أنا ذلك المؤذّن، وقال: ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ..﴾ التوبة:٣، وأنا ذلك الأذان.

* في تفسير عليّ بن إبراهيم (القمّي) قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ "..." عن أبي الحسن عليه السلام قال: المؤذّن أمير المؤمنين صلوات الله عليه، يُؤذِّنُ أذاناً يُسمع الخلائق.

وعلى الأعراف رجالٌ

تفسير «نور الثقلين»:

* عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الأعرافُ كُثبان [تلال رمليّة] بين الجنّة والنّار، والرّجال الأئمّة صلواتُ الله عليهم، يقفون على الأَعراف مع شيعتهم، وقد سبق المؤمنون إلى الجنّة، فيقول الأئمّة لشيعتهم مِن أصحاب الذنوب:

انظروا إلى إخوانكم في الجنّة قد سبقوا إليها بلا حساب، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿..سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ ثمّ يُقال لهم: انظروا إلى أعدائكم في النار، وهو قوله: ﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾، ثمّ يقولون لِمَن في النّار من أعدائهم:

أهؤلاء شيعتي وإخواني الذين كنتم أنتم تحلفون في الدنيا لا ينالهم الله برحمة؟ ثمّ يقول الأئمّة لشيعتهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾.

* في «أصول الكافي»: ".." [قال الراوي]: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: الناس على ستّة أقسام، قال: قلت: تأذنُ أنْ أكتبَها؟ قال:

نعم، قلت: ما أكتب؟ ".." قال: واكتب أصحاب الأعراف، قال: قلت: وما أصحاب الأعراف؟ قال:

قومٌ استوتْ حسناتُهم وسيّئاتُهم، فإنْ أَدْخَلَهم [الله] النار فَبذنوبهم، وإنْ أَدْخَلَهم الجنّة فَبِرَحمتِه. (الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة).

* وفيه: وقال الصادق عليه السلام: كلّ أُمّة يحاسبها إمامُ زمانِها، ويعرف الأئمّة أولياءَهم وأعداءَهم بسيماهم، وهو قوله:

﴿..وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ..﴾ فيُعطوا أولياءَهم كتابهم بيَمينهم، فيمرّوا إلى الجنّة بلا حساب، ويُعطوا أعداءَهم كتابَهم بشمالهم فيمرّوا إلى النار بلا حساب.

* في كتاب «معاني الأخبار» خطبة لعليّ عليه السلام يذكر فيها نِعَمَ الله عزّ وجلّ عليه، وفيها يقول عليه السلام: ونحن أصحاب الأعراف، أنا وعمّي وأخي وابنُ عمّي، والله فالقِ الحبِّ والنَّوى، لا يَلِجُ النّارَ لنا مُحِبٌّ ولا يدخلِ الجنّة لنا مُبغِض، لقول الله عزّ وجلّ: ﴿..وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ..﴾.

* في «كشف المَحجّة» لابن طاوس رضي الله عنه، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل فيه: فالأوصياء قوّامٌ عليكم بين الجنة والنار، لا يدخل الجنة إلا مَن عَرَفهم وعَرَفوه، ولا يدخل النار إلا مَن أنكرَهم وأنكروه، لأنهم عُرفاء العباد، عرّفهم الله إيّاهم عند أخذ المواثيق عليهم بالطاعة لهم، فوصفهم في كتابه فقال عزّ وجلّ ﴿..وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ..﴾، وهم الشهداء على الناس، والنبيّون شهداؤهم بأَخْذِهم لهم مواثيق العباد بالطّاعة.

* في «تفسير العياشي» ".." عن علي عليه السلام قال: أنا يعسوب المؤمنين، وأنا أوّل السابقين، وخليفةُ رسول ربِّ العالمين، وأنا قسيمُ الجنّة والنار، وأنا صاحب الأعراف.

* عن سلمان [المحمدي] قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليٍّ عليه السلام أكثر من عشرّ مرات: يا عليّ، إنك والأوصياء من بعدك أعرافٌ بين الجنة والنار، ولا يدخل الجنة إلا مَن عَرَفكم وعَرَفتموه، ولا يدخل النار إلا مَن أنكرَكم وأنكرتُموه.

* عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام في هذه الآية: ﴿..وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ..﴾، قال: يا سعد، هم آل محمد عليهم السلام، لا يدخل الجنة إلا مَن عَرَفهم وعَرَفوه، ولا يدخل النار إلا مَن أنكرَهم وأنكروه.

* عن الثُّماليّ قال: سُئل أبو جعفر عليه السلام: ﴿..وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ..﴾، فقال

أبو جعفر: نحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلا بسببِ معرفتِنا، ونحن الأعراف الذين لا يدخل الجنة إلا مَن عَرَفنا وعَرَفناه، ولا يدخل النار إلا مَن أنكرَنا وأنكرناه، وذلك بأنّ الله لو شاء أن يُعَرِّفَ الناس نفْسَه لَعَرَّفَهُم، ولكنْ جَعَلَنا سَبَبَه وسبيلَه وبابَه الذي يُؤتى.

* «في مصباح الشريعة»: قال الصادق عليه السلام: **ولأَهْلِ التواضع سيماءٌ يعرفُه أهلُ السماء من الملائكة، وأهلُ الأرض من العارفين، قال الله تعالى:** ﴿..وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ..﴾.

«الميزان في تفسير القرآن»:

كلامٌ في معنى الأعراف في القرآن: لم يذكر الأعراف في القرآن إلا في هذه الآيات الأربع من سورة الأعراف (٤٦ - ٤٩)، وقد استُنتِج باستيفاء البحث في الآيات الشريفة، أنّه من المقامات الكريمة الانسانية التي تظهر يوم القيامة، وقد مثّلَه الله سبحانه بأنّ بين الدارين؛ دار الثواب ودار العقاب، حجاباً يحجز إحداهما من الأخرى ـ والحجاب بالطّبع خارجٌ عن حُكم طَرَفَيه، في حين أنه مرتبط بهما جميعاً ـ وللحجاب أعرافٌ، وعلى الأعراف رجالٌ مُشرِفون على الناس، من الأوّلين والآخِرين، يشاهدون كلّ ذي نفس منهم في مقامه الخاصّ به على اختلاف مقاماتِهم ودرجاتِهم ودَرَكاتِهم؛ من أعلى عِلِّيين إلى أسْفَلِ سافلين، ويعرفون كُلاً منهم بما له من الحال الذي يخصّه، والعمل الذي عَمِلَه، لهم أن يُكلِّموا مَن شاؤوا منهم، ويُؤمِنوا مَن شاؤوا، ويأمروا بدخول الجنة بإذن الله.

ويُستفاد من ذلك، أنّ لهم موقفاً خارجاً من مَوقِفَي السعادة التي هي النجاة بصالح العمل، والشقاوة التي هي الهلاك بطالح العمل، ومقاماً أرفع من المقامين معاً، ولذلك كان مصدراً للحُكم والسلطة عليهما جميعاً.

ولك أن تعتبر في تَفهُّم ذلك بما تجدُه عند الملوك ومصادر الحكم، فهناك جماعةٌ مُنَعَّمون بِنِعمَتِهم، مشمولون لرحمتِهم، يستدرّون ضرعَ السعادة بما تشتهيه أنفسُهم، وآخرون محبوسون في سجونهم، مُعذَّبون بأليمِ عذابهم، قد أحاط بهم هَوان الشقاوة من كلّ جانب، فهذان طرَفان: طرَف السعادة وطرَف الشقاوة، والطرفان متمائزان، لا يختلطان بطرَف آخر ثالث يحكم فيهما ويُصلح شأنَ كلٍّ منهما ويُنظِّم أَمْرَه، وفي هذا الطرَف قومٌ خَدَمَةٌ يخدمون العرش بمُداخلتهم الجانبين، وإهداءِ النِعَم إلى أهل السعادة، وإيصالِ النِقَم إلى أهل الشقاوة، وهم مع ذلك من السُعداء، وقومٌ آخر وراء الخَدَمَة والعُمّال، هم المُدبِّرون لأَمرِ الجميع، وهم أقربُ الوسائط من العرش، وهم أيضاً من السُعداء، فللسعادة مراتبُ من حيث الإطلاق والتقييد. وليس من المُمتنع على مَلك يوم الدين أن يخصّ قوماً برحمته، فيُدخِلهم بحسناتِهم الجنّة، ويبسط عليهم بركاتِه بما أنه الغفور ذو الفضل العظيم، ويُدخل آخرين في ناره ودارِ هوانه بما عَمِلوه من سيّئاتهم، وهو عزيزٌ ذو انتقام، شديدُ العقاب ذو البطش، ويأذنَ لطائفة ثالثة أن يتوسّطوا بينه وبين الفريقين؛ بإجراء أوامره وأحكامه فيهم، أو إصدارها عليهم بإسعاد من سَعِدَ منهم وإشقاءِ من شَقِي، فإنه الواحد القهّار الذي يَقهر بوحدته كلّ شيء كما شاء؛ بتوسيطٍ أو إسعادٍ أو إشقاء، وقد قال تعالى: ﴿..لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ غافر:١٦، فافْهَم!

مناسبات شهر ذي الحِجّة

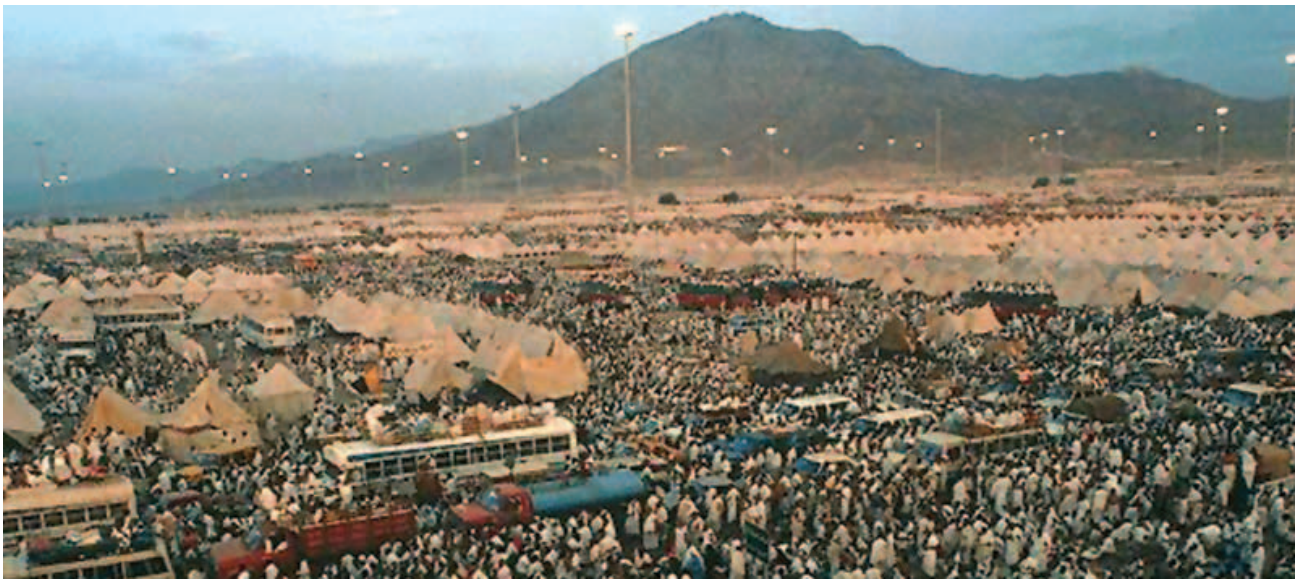

الحجيج في «منى»

الأوّل من ذي الحجّة: زواج أمير المؤمنين الإمام علي من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام سنة ٢ للهجرة.

* **زواج النور من النور:** أورد السيد الأمين في «المجالس السَنيّة» ما مُلَخَّصُه: جاء عليٌّ عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو في منزل أم سَلَمة، فَسلَّم عليه، وجلس بين يديه، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: أتيت لحاجة؟ فقال عليه السلام: نعم، أتيتُ خاطباً ابنتكَ فاطمة عليها السلام، فَهل أنتَ مُزَوِّجُني؟ قالت أم سَلَمة: فرأيتُ وجهَ النبيّ صلى الله عليه وآله يَتَهَلَّلُ فرحاً وسروراً، ثم ابتسم في وجه عليٍّ عليه السلام، ودخل على فاطمة عليها السلام، وقال لها: إنّ عليّاً قد ذكر من أمرك شيئاً، وإنّي سألت رَبِّي أن يزوِّجكِ خير خلقه، فما ترين؟ فَسَكَتَتْ عليها السلام. فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يقول: اللهُ أكبر، سُكوتُها إقرَارُها.

فعندها أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أَنَس بن مالك أن يجمع الصحابة، لِيُعلِن عليهم نبأ تزويج فاطمة لعليٍّ عليه السلام.

فلما اجتمعوا، قال صلى الله عليه وآله لهم: إنّ الله تعالى أمرني أن أُزَوِّج فاطمة بنت خديجة من عليّ بن أبي طالب. ثمّ أبلغ النّبي صلى الله عليه وآله علياً بأنّ الله أمرَه أن يزوِّجه فاطمة على أربعمائة مثقال فضة، وكان ذلك في اليوم الأوّل من شهر ذي الحِجّة من السنة الثانية للهجرة.

السابع من ذي الحجّة: شهادة الإمام أبي جعفر الباقر، محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، مسموماً سنة ١١٤ للهجرة في المدينة المنوّرة، وهو أوّل هاشميّ من هاشميّين، وعلويّين وفاطميّين. (أنظر «الملف» من هذا العدد).

الثامن من ذي الحجّة: يومُ التَّرْوِيَة

* عن الإمام الصَادق عليه السلام أنّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، لمّا فرغا من بناء البيت الحرام، نزل عليهما جبرئيل في اليوم الثامن من ذي الحجّة، وقال: «يا إبراهيم قم وارتوِ من الماء»، لأنه لم يكن في منى وعرفات ماء، ولذلك سُمّي هذا اليوم بيوم التّرويَة.

* وفي مثل هذا اليوم كان خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة المكرّمة إلى العراق سنة ٦٠ للهجرة، وفيه كانت شهادة مسلم بن عقيل وهاني بن عروة في الكوفة في السنة نفسها.

التاسع من ذي الحجّة: يوم عَرَفَة

* رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحجُّ عَرَفَة»، وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «الحجّ الأكبر الموقفُ بِعَرفة ورميُ الجمار».

* سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن سبب تسمية عرفات بهذا الإسم، فقال: «إنّ جبرئيل عليه السلام خرج بإبراهيم

صلوات الله عليه يوم عَرَفة، فلمّا زالت الشمس قال له جبرئيل: يا إبراهيم، اعترف بذنبك واعرف مناسكَك، فسُمِّيت عرفات لقول جبرئيل اعترِفْ فاعترَفَ».

* ورد استحبابُ أن يبيت الحاجّ في مِنى ليلة عَرَفة، يقضيها بالعبادة والصلاة، والأفضل أن تكون عباداته ولا سيما صلواته في مسجد الخَيف، فإذا صلّى الفجر، عقّب إلى طلوع الشمس، ثمّ يخرج إلى صعيد عرفات.

* عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله تعالى دحا الأرض من تحت الكعبة إلى مِنى، ثمّ دحاها من مِنى إلى عرفات، ثمّ دحاها من عرفات إلى مِنى، فالأرضُ من عرفات، وعرفات من مِنى، ومِنى من الكعبة».

* دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عَرَفة هو المنشور الثقافيّ لرحلة البشريّة في ميدان الجهاد الأكبر، والذي تتوقّف عليه سلامة الجهاد الأصغر.

العاشر من ذي الحجّة: عيد الأضحى المبارك

* في ليلة العيد تكون إفاضة الحجيج من عرفات إلى المُزدَلفة، وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «في حديث إبراهيم عليه السلام أنّ جبرئيل عليه السلام انتهى به إلى الموقف [عرفات]، فأقام به حتى غربت الشمس، ثم أفاض به فقال: يا إبراهيم، ازدَلِف إلى المشعر الحرام، فسُمِّيت مُزدلفة». * ومن أسمائها المشعر الحرام كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ..﴾ البقرة:١٩٨، ويُقال لها أيضاً: «جَمْع»، لأنّ آدم عليه السلام جمع فيها بين صلاتَيْ المغرب والعشاء، وقيل لأنّه جُمع فيها بين الصلاتين بأذانٍ واحدٍ وإقامتين.

العشر الأوائل من ذي الحجّة: * رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ..﴾ الحج:٢٧-٢٨، أنه قال: «الأيام المعلومات هي العشر الأُوَل من ذي الحجّة».

* وورد أيضاً أنّ العشر الأوائل من ذي الحجّة هي التي ورد ذكرُها في ميقات نبيّ الله موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً..﴾ الأعراف:١٤٢، أي أنّ الميقات الموسويّ بدأ في غُرّة ذي القعدة، وانتهى يوم الأضحى، فذلك تمام الأربعين.

* وقال بعض المفسّرين إنّها الليالي العشر المذكورة في مطلع سورة الفجر: ﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ الفجر:١-٢، وأنّ الشفع هو عاشرها يوم النحر، والوتر هو تاسعها يوم عرفة. (أنظر باب «مراقبات» من هذا العدد)

الثامن عشر من ذي الحجّة: عيد الغدير الأغرّ

* ﴿..ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا..﴾ المائدة:٣.

في أمالي الصدوق رضوان الله عليه يقول صلى الله عليه وآله: «..وأمّا فضلُ أهل بيتي وذريّتي على غيرهم كفضل الماء على كلّ شيء، وبه حياة كلّ شيء، وحبّ أهل بيتي وذرّيتي استكمالُ الدين..»، ثمّ تلا رسول الله قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم..﴾.

* **واقعة الغدير:** أجمعَ رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج إلى الحجّ في سنة عشر من مهاجره، وأذّن في الناس بذلك، فقدِم المدينة خلقٌ كثير يأتمّون به في حِجّته تلك التي يُقال عليها «حِجّة الوداع»، و«حجة الإسلام»، و«حجة البلاغ»، و«حجة الكمال»، و«حجة التمام». ولم يحجّ غيرها منذ هاجر إلى أن توفّاه الله، فخرج صلى الله عليه وآله من المدينة مغتسِلاً متدهِّناً مترجّلاً متجرّداً في ثوبين صَحاريَّين؛ إزار ورداء، وذلك يوم السبت لخمس ليالٍ أو ستٍّ بقين من ذي القعدة، وأخرجَ معه نساءه كلّهن في الهوادج، وسار معه أهل بيته، وعامّة المهاجرين والأنصار، ومَن شاء الله من قبائل العرب وأفناء الناس. وعند خروجه صلى الله عليه وآله أصاب الناس بالمدينة جُدَريٌّ أو حَصبة منعتْ كثيراً من الناس من الحجّ معه صلى الله عليه وآله، ومع ذلك كان معه جموعٌ لا يعلمها إلا الله تعالى، وقد يُقال: خرج معه تسعون ألفاً، ويقال: مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، وقيل: مائة ألف وعشرون ألفاً، وقيل: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، ويُقال أكثر من ذلك، وهذه عدّة مَن خرج معه، وأما الذين حجّوا معه فأكثر من ذلك؛ كالمُقيمين بمكّة والذين أتوا من اليمن مع عليّ أمير المؤمنين "..". أصبح صلى الله عليه وآله يوم الأحد بـ «يَلَمْلَم»، ثم راح فتعشّى

بـ«شرف السيّالة»، وصلّى هناك المغرب والعشاء، ثم صلّى الصبح بـ «عرق الظبية»، ثم نزل «الروحاء»، ثمّ سار من «الروحاء» فصلّى العصر بـ «المُنصرف»، وصلّى المغرب والعشاء بـ«المُتعشّى» وتعشّى به، وصلّى الصبح بـ «الأثابة»، وأصبح يوم الثلاثاء بـ «العرج» واحتجم بـ«لحى جمل» (وهو عَقبة الجُحفة)، ونزل «السقياء» يوم الأربعاء، وأصبح بـ «الأبواء»، وصلّى هناك، ثم راح من «الأبـواء» ونزل يوم الجمعة «الجُحفة»، ومنها إلى «قديد» وسبتَ فيه، وكان يوم الأحد بـ «عسفان»، ثم سار فلمّا كان بـ «الغميم» اعترض المشاة فصفّوا صفوفاً فشكوا إليه المشي، فقال: استعينوا بالنَّسَلان (مشي سريع دونَ العَدو)، ففعلوا فوجدوا لذلك راحـة، وكان يوم الإثنين بـ«مرّ الظهران» فلم يبرح حتى أمسى، وغربت له الشمس بـ «سرف»، فلم يُصلِّ المغرب حتى دخل مكّة، ولمّا انتهى الى «الثنيتين» بات بينهما فدخل مكّة نهار الثلاثاء.

فلمّا قضى مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه مَن كان مِن الجموع المـذكـورات، وصـلَ إلى «غدير خـمّ» من الجُحفة التي تتشعّب فيها طُرق المدنيّين والمصريّين والعراقيّين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجّة، نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ.. ﴾ المائدة:٦٧، وأمَره أن يُقيم عليّاً عَلَماً للناس، ويبلّغهم ما نزل فيه من الولاية وفرْض الطاعة على كلّ أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجُحفة فأَمَرَ رسول الله أن يُرَدَّ مَن تقدّم منهم ويُحبَس مَن تأخّر عنهم في ذلك المكان، ونهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات عِظام أن لا ينزل تحتهنّ أحد، حتى إذا أخذ القوم منازلهم فَقُمَّ ما تحتهنّ [أي كُنِس]، حتى إذا نُودي بالصلاةِ صلاةِ الظهر عَمَد إليهنّ فصلّى بالناس تحتهنّ، وكان يوماً هاجراً يضع الرَجل بعض ردائه على رأسه، وبعضه تحت قدميه من شدّة الرمضاء، وظُلِّلَ لرسول الله بثوبٍ على شجرة سمرة من الشمس، فلما انصرف ﷺ من صلاته قام خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل، وأسمع الجميع رافعاً [صوته] فقال: الحمد لله ونستعينُه ونؤمنُ به ونتوكّل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، الذي لا هاديَ لمن أضَلَّ ولا مُضِلَّ لِمَن هَدى، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله.

أما بعد، أيها الناس قد نبّأني اللّطيف الخبير أنّه لم يُعمَّر نبيٌّ إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وإنّي أُوشك أن أُدعـى فأُجيب، وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلّغتَ ونصحتَ وجهدتَ [جاهدت] فجزاك الله خيراً.

قال: ألستم تشهدون أنْ لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبده، وأنّ جنّتَه حقّ وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَن في القبور؟

قالوا: بلى، نشهد بذلك. قال: أللّهمّ اشهد. ثمّ قال: أيّها الناس، ألا تسمعون؟ قالوا: نعم. قال: فإنّي فَـرَطٌ على الحوض، وأنتم واردون على [عليَّ] الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاء وبُصرى، فيه أقداحٌ عددَ النجوم من فضّة، فانظروا كيف تُخلِّفوني في الثَّقَلَين؟

فنادى منادٍ: وما الثَّقَلان يا رسول الله؟ قال: الثِّقْل الأكبر كتابُ الله، طرفٌ بيد الله عزّ وجلّ وطرفٌ بأيديكم، فتمسّكوا به لا تَضلّوا، والآخر الأصغر عِترتي، وإنّ اللّطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يتفرّقا [يفترقا] حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تَقَدَّموهما فتَهلكوا، ولا تُقصّروا عنهما فتهلكوا، ثمَّ أخذ بيَد عليٍّ فرفعها حتى رُؤي بياضُ آباطهما، وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس،

مَن أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فَمَنْ كنتُ مَولاه فعليٌّ مَولاه، يقولها ثلاث مرّات ـ وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة أربع مرّات ـ، ثمّ قال: أللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وَأَحِبَّ مَن أَحَبَّه، وابغض مَن أَبغضَه، وانصُر مَن نصَرَه، واخذُل مَن خذلَه، وَأَدِرِ الحَقَّ معه حيث دار، ألا فَلْيُبَلِّغ الشاهدُ الغائب.

ثمّ لم يتفرّقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿..ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا..﴾المائدة:٣، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتي والولاية لعليّ من بعدي. ثمّ طفق القوم يُهنّئون أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وممّن هنّأه في مقدّم الصحابة: الشيخان أبو بكر وعمر، كلٌّ يقول: بَخ بَخٍ لك يا بنَ أبي طالب، أصبحتَ وأمسيتَ مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. وقال ابن عبّاس: وَجَبتْ والله في أعناق القوم. فقال حسّان: إئذَنْ لي يا رسول الله أن أقول في عليٍّ أبياتاً تَسمعُهنّ، فقال: قُل على بركةِ الله، فقام حسان فقال: يا معشرَ مشيخة قريش، أتبعها قولي بشهادةٍ من رسول الله في الولاية ماضية، ثم قال:

يُناديهم يوم الغدير نبيُّهم بِخُمٍّ وأَسْمع بالرسول مناديا

(القصيدة).

الرابع والعشرون من ذي الحجّة: ذكرى تصدّق أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بالخاتم وهو راكع، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ المائدة:٥٥.

* أورد السيد ابن طاوس رضوان الله عليه في «إقبال الأعمال» ثبتاً بأسماء عددٍ من العلماء السُنّة الذين رووا أنّ هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: «رواه الثعلبيّ في كتابه في تفسير القرآن عن السديّ وعتبة بن أبي حكيم، ورواه أيضاً عن عباية بن الربعي وعن ابن عباس وعن أبي ذر، ورواه أيضاً الشافعيّ ابن المغازلي من خمس طُرق، ورواه أيضاً علي بن عابس وعبد الله بن عطاء، ورواه الزمخشري في كتاب «الكشّاف في تفسير القرآن»، وأجمع أهل البيت الذين وصفهم النبيّ صلوات الله عليه وآله أنهم لا يفارقون كتابه حتى يرِدوا عليه الحوض، أنّ هذه الآية نزلت في مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وأطبق على ذلك الشيعة الذين تثبت الحُجّة بما أطبقوا عليه».

يوم المباهلة: وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٠ للهجرة كانت المباهلة بين رسول الله ﷺ ونصارى نجران [على حدود اليمن]، والتي كانت تُمَثّل في حينه عاصمة النصرانيّة العالميّة، أو قطب

الوجود النصرانيّ في المشرق على أقلّ تقدير.

وقد جاءت هذه المباهلة في ظرف سياسيّ استثنائيّ؛ بعد فتح مكّة وانتصار المسلمين في حُنين، ومراسلة رسول الله ﷺ لملوك العالم؛ كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشيّ في الحبشة، كما أنّها جاءت قبل شهرين من وفاته ﷺ، ما يدلّ على عظيم خطورة تداعياتها، لا سيّما أنّ حزب المُنقلبين على الأعقاب كان يُعدّ بدوره العُدّة لنهب تراث رسول الله بعد ارتحاله عن هذه الدنيا. وتفصيل ما جرى أنّ رسول الله بعث إلى وجوه النصارى في جزيرة العرب يدعوهم إلى الإسلام، أو دفع الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، ففزعوا والتجأوا إلى كنيسهم ورفعوا فيه صليبهم الأعظم، واجتمع شيوخهم وكبار قساوستهم، وأجمعوا بادىء الأمر على أن يحشدوا جيشاً يضمّهم وعدداً من قبائل اليمن ليغزوا المسلمين في المدينة، ثمّ استقرّ رأيهم على إيفاد مجموعة من علمائهم لمناظرة رسول الله ﷺ، يزعمون بذلك أنّهم سيدحضون حُجّته، وتكون لهم الغَلَبة عليه من

غير حاجة منهم إلى خوض غمار الحرب. وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «أنّ نصارى نجران لمّا وَفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وكان سادتُهم الأهتم والعاقب والسيّد ـ وحضرت صلواتهم [حان موعد صلاتهم] فأقبلوا يضربون الناقوس وصلّوا، فقال أصحابُ رسول الله: يا رسول الله، هذا في مسجدك؟! [أي في المدينة المنوّرة؟]، فقال دَعوهم، فلمّا فرغوا دنوا من رسول الله، فقالوا: إلى ما تدعو؟ فقال: إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأنّي رسول الله، وأنّ عيسى عبدٌ مخلوقٌ يأكل ويشرب ويُحْدِث، قالوا فمَن أبوه؟ فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال: قل لهم: ما تقولون في آدم؟ أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويحْدث وينكح؟ فسألهم النبيّ فقالوا: نعم، قال: فمن أبوه؟ فبُهتوا، فأنزل الله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ آل عمران:٥٩، وقوله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ آل عمران:٦١.

فقال رسول الله، فباهِلُوني، فإنْ كنتُ صادقاً أُنزلت اللّعنةُ عليكم، وإنْ كنتُ كاذباً أُنزلتْ عليَّ، فقالوا: أنصفتْ، فتواعدوا للمباهلة، فلمّا رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم؛ السيّد والعاقب والأهتم: إنْ باهلَنا بقومه باهلناه، فإنّه ليس نبيّاً، وإن باهلَنا بأهل بيته خاصّة، لم نُباهله، فإنه لا يقدم إلى أهل بيته إلا وهو صادق، فلمّا أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال النصارى: مَن هؤلاء؟ فقيل لهم: هذا ابنُ عمّه ووصيُّه وخِتنُه عليُّ بن أبي طالب، وهذه ابنته فاطمة، وهذان ابناه الحسن والحسين، فتفرّقوا فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: نُعطيك الرضا فاعفِنا من المُباهلة، فصالَحهم رسول الله صلى الله عليه وآله على الجزية وانصرفوا».

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو عَلِم الله تعالى أنّ في الأرض عباداً أكرم من عليّ وفاطمة والحسن والحسين، لأَمَرَني أن أُباهل بهم، و لكنْ أَمَرَني بالمباهلة مع هؤلاء، فغلبتُ بهم النصارى».

* مسجد المباهلة، شُيّد فوق المنطقة التي كان مقرّراً أن يُباهل بها النبيّ الأكرم قساوسة النصارى قبل خذلانهم، وهو من الأماكن التي حثّ الشيخ المفيد وغيره من العلماء رضوان الله عليهم على زيارتها، والصلاة فيه. يقع مسجد المباهلة في الجهة الشرقيّة من المسجد النبويّ، وعلى مسافة خمسماية متر إلى جهة الشمال من جنّة البقيع. يُعرف حاليّاً عند السكّان المحليّين بمسجد «الإجابة»، وثمّة قرائن تُفيد بأنّ هذه التسمية مُفتَعَلَة ـ على غرار باب الفيل في مسجد الكوفة ـ لصرف الأنظار عن واقعة المباهلة، ودلالاتها، لا سيّما إنزالُ الله تعالى بنصّ القرآن الكريم، أميرَ المؤمنين عليه السلام منزلةَ «نَفْس رسول الله».

* يُصرّح أئمّة الحديث عند المسلمين السُنّة، بأنّ هذه الآية نزلت في رسول الله وأمير المؤمنين والسيدة الزهراء والحسنين عليهم السلام. (أنظر: صحيح مسلم، ومسند أحمد).

الخامس والعشرون من ذي الحجّة: نزول الآيات الثماني عشرة من سورة الإنسان (الدهر)، من الآية الخامسة: ﴿إنّ الأبرار يشربون..﴾ إلى الآية الثانية والعشرين: ﴿إنّ هذا كان لكم جزاءً..﴾. ومن المُجمع عليه أنّ هذه الآيات نزلت في أمير المؤمنين والسيدة الزهراء والحسنين صلوات الله عليهم أجمعين، بعد ما تصدّقوا على مسكين ويتيم وأسير بطعام إفطارهم.

وفي «تفسير الميزان» للعلامة الطباطبائي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام في هذه الآيات وفي خصوص قوله تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ الإنسان:٨، يقول عليه السلام: «كان عند فاطمة عليها السلام شعير فجعلوه عصيدة، فلمّا أَنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين فقال: مسكينٌ رحمكم الله، فقام عليٌّ عليه السلام فأعطاه ثُلُثاً، فلم يَلبث أن جاء يتيم فقال: اليتيم رحمكم الله، فقام عليٌّ عليه السلام فأعطاه الثُلث، ثم جاء أسير فقال: الأسير رحمكم الله، فأعطاه عليٌّ عليه السلام الثُلث وما ذاقوها».

وفي تفسير «الكشّاف» للزمخشري بروايته عن ابن عباس أنّ هذه الآيات نزلت في أهل بيت رسول الله، وأنّ جبرئيل لمّا نزل بها قال له صلى الله عليه وآله: «خُذْها يا محمد، هنّأك الله في أهل بيتك..».

الحـاجّ

هكذا تحدّثت الروايات عن خصائص هذا الوسام الإلهي الذي يُمنح لمن يحجّ بيت الله الحرام، وهي خصائص ينبغي التنبّه لفرادتها وبذل الجهد في استحقاقها والمحافظة عليها.

يجتمع مع إمام زمانه في مكانٍ واحد: عن الإمام الصادق عليه السلام: «يفقد الناس إمامَهم، فيشهَدُ الموسمَ فيراهم ولا يَرونَه».

لا تُكتب عليه السيئات أربعة أشهر: عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ الحاجَّ إذا أخذ في جهازه لم يَخْطُ خطوةً في شيءٍ من جهازه إلا كتب الله عزّ وجلّ له عشرَ حسنات، ومحا عنه عشرَ سيّئات، ورفع له عشرَ درجات، حتى يفرغَ من جهازه متى ما فرغ، فإذا استقبلت به راحلتُه لم تضع خفّاً ولم ترفعه إلا كتب الله عزّ وجلّ له مثل ذلك حتى يقضي نُسُكَه، فإذا قضى نسكَه غفر الله له ذنوبه، وكان ذا الحجّة والمحرّم وصفر وشهر ربيع الأوّل أربعة أشهر تُكتب له الحسنات ولا تُكتب عليه السيّئات، إلا أن يأتي بموجبة [الكبائر الموجبة للنار أو الأقوال والأفعال الموجبة للكفر] فإذا مضت الأربعة الأشهر خلط بالناس».

آمنٌ في الحَرَم: عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَن دخل الحَرَم من الناس مستجيراً به فهو آمنٌ من سَخَطِ الله، ومَن دخله من الوحش والطير كان آمناً من أن يُهاج أو يُؤذى حتى يخرجَ من الحَرَم».

ما يلزم الحاجّ: عن الإمام الرضا عليه السلام: «إنّما أُمِروا بالإحرام ليخشعوا قبل دخولهم حَرَم الله وأمنه، ولئلا يَلهوا ويشتغلوا بشيء من أمور الدنيا وزينَتِها ولذّاتِها، ويكونوا جادّين فيما هم فيه، قاصدين نحوه، مُقبلين عليه بكُلِّيّتهم».

دعـوة الحـاج مستجابة: عن رسـول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاثُ دعواتٍ مُستجابة: دعاءُ الحاجّ في تخلف (في مَن يخلف) أهله، ودعاءُ المريض فلا تُؤذوه ولا تُضجِروه، ودعاء المظلوم».

وذنبه مغفور: عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَن نظر إلى الكعبة بمَعرفة، فعرف من حقّنا وحُرمتِنا مثلَ الذي عَرَف من حقّها وحُرمتها، غفر الله له ذنوبَه وكفاه همّ الدنيا والآخرة».

مَن حجّ بمالٍ حرام: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن حجّ بمالٍ حرامٍ فقال: لبّيك اللهمّ لبّيك، قال الله له: لا لبّيك ولا سَعدَيك، حَجُّك مردودٌ عليك!».

تمام الحجّ والعُمرة: عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «أَتِمُّوا برسول الله صلى الله عليه وآله حَجَّكم إذا خرجتم إلى بيت الله، فإنّ تَرْكَه جفاء، وبذلك أُمِرتم، [وأَتِمُّوا] بالقبور التي ألزمَكم الله عزّ وجلّ حقَّها وزيارتَها، واطلبوا الرزقَ عندها».

في ضمان الله حيّاً وميتاً: عن الإمام الصادق عليه السلام: «الحاجُّ والمُعتمِر في ضمان الله، فإنْ مات مُتوجِّهاً غفر الله له ذنوبَه، وإنْ مات مُحْرِماً بعثَه الله مُلَبِّياً، وإنْ مات بأحدِ الحَرَمين بعثه الله من الآمنين، وإنْ ماتَ مُنصرِفاً غفر الله له جميعَ ذنوبه».

بادِروا بالسلام على الحاجّ: عن رسـول الله صلى الله عليه وآله: «إذا لقيتَ الحاجَّ فسَلِّم عليه، وصافِحْه، وَمُرْهُ أن يستغفرَ لك قبلَ أن يدخلَ بيتَه، فإنّه مغفورٌ له».

وعن الإمام السجاد عليه السلام: «بـادِروا بالسّلام على الحاجِّ والمُعتمر ومصافحتِهم مِن قبلِ أنْ تُخالِطَهم الذنوب».

من كلمات العلماء

(الحجّ في اللّغة القَصد، وشرعاً اسمٌ لمجموع المناسك المُؤدَّاة في المشاعر المخصوصة، ويندرج فيه العُمرة على وجه. وعن الرّضا عليه السلام: «إنّما أُمِروا بالحجّ لِعِلّةِ الوَفادة إلى الله، وطلبِ الزيارة، والخروج من كلّ ما اقترف العبد تائباً ممّا مضى، مُستأنفاً لِما يستقبل، مع ما فيه من إخـراج الأمـوال وتعبِ الأبدان والاشتغالِ عن الأهل والولد، وحَظْرِ النفس عن اللّذات شاخصاً في الحرّ والبرد "..." مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع ممّن حجّ وممّن لم يحجّ..».

وعنه عليه السلام: «..ولِتُعرَف آثارُ رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبارُه، فيُذكر ولا يُنسى»).

السيد عبد الله الجزائري، التُحفة السنيّة (مخطوط)

الحج في توجيهات الفقيه العارف

الشيخ محمد مهدي النراقي قدس سره

بعض أعمال الحجّ، مثل رَمْي الجِمار وتردُّدات السّعي، لا حظَّ للنفس ولا أُنس للطبع فيها، ولا اهتداءَ للعقل إلى معانيها، فلا يكون الإقدام عليها إلا لمجرّد الأمر وقصدِ الإمتثال له، من حيث إنه أمرٌ واجبُ الاتّباع، ففيها صَرْفُ النفس والطبع عن محلّ أُنسه، فإنّ كلّ ما أدركَ العقلُ معناه، مالَ الطبعُ إليه ميلاً ما، فيكون ذلك المَيل مُعِيناً للامتثال، فلا يظهرُ به كمالُ الرِّقّ والانقياد.

إعلم أنّ الحجَّ أعظمُ أركانِ الدين، وعُمدة ما يُقرّب العبد إلى ربّ العالمين، وهو أهمّ التكاليف الإلهيّة وأثقلُها، وأصعب العبادات البدنيّة وأفضلُها، وأَعْظِم بعبادةٍ ينعدم بِفَقدِها الدّين، ويساوي تاركُها اليهودَ والنصارى في الخُسران المُبين.

والأخبارُ التي وردت في فضيلته وفي ذَمِّ تاركِه كثيرةٌ مذكورةٌ في كُتُب الأخبار، والأحكامُ والشرائطُ الظاهرةُ له على عُهدة الفقهاء، فَلْنُشِر إلى الأسرار الخفيّة، والأعمال الدقيقة، والآداب الباطنة التي يبحث عنها أربابُ القلوب.

الغرضُ من إيجادِ الإنسان: إعلم أنّ الغرض الأصليّ من إيجاد الإنسان معرفةُ الله، والوصولُ إلى حُبّه والأُنس به، والوصولُ إليه بالحُبّ والأُنس يتوقّف على صفاء النفْس وتَجرُّدِها، فكلمّا صارت النفس أصفى وأشدّ تجرّداً، كان أُنسُها وحُبُّها بالله أشدّ وأكثر.

وصفاءُ النفس وتجرُّدها موقوف على:

١- التنَزُّهُ عن الشهوات والكفُّ عن اللّذات.

٢- والانقطاعُ عن الحُطام الدنيويّة بالإنقطاع عن تحريكِ الجوارح، وإيقاعِها لأجلِ الحُطام في الأعمال الشاقّة.

٣- والتجرُّدُ لذِكرِ الله تعالى وتوجيهُ القلبِ إليه.

ولذلك شُرِّعت العبادات المُشتملة على هذه الأمور إذ بعضها:

١- إنفاقُ المال وبَذْلُه المُوجبُ للانقطاع عن الحُطام الدنيويّة؛ كالزكّاة والخُمس والصدّقات.

٢- وبعضُها الكفُّ عن الشهوات واللّذات؛ كالصوم.

٣- وبعضُها التجرّد لِذِكر الله، وتوجيهُ القلب إليه، وارتكابُ تحريكِ الأعضاء وتَعَبُها؛ كالصلاة.

والحجُّ من بينها مُشتمِلٌ على جميع هذه الأمور مع الزيادة، إذ فيه:

هِجرانُ أوطان، وإتعابُ أبدان، وإنفاقُ أموال، وانقطاعُ آمال، وتَحمُّلُ مشاقّ، وتجديدُ ميثاق، وحضورُ مشاعر، وشهودُ شعائر.

ويتحقّق في أعماله:

١- التجرُّدُ لِذِكر الله.

٢- والإقبال عليه بضروب الطاعات والعبادات.

مع كون أعماله أموراً لا تأنس بها النفوس، ولا تهتدي إلى معانيها العقول، كَرَمي الجمار بالأحجار، والتردُّد بين الصفا والمروة على سبيلَ التكرار.

إذ بمِثلِ هذه الأعمال يظهر كمالُ الرِّقّ والعبوديّة، فإنّ سائرَ العبادات أعمالٌ وأفعالٌ يظهر وجهُها للعقل، فَلِلنَّفْس إليها مَيل، وللطَّبع بها أُنس.

وأما بعض أعمال الحجّ، كَرَمي الجمار وتردُّدات السّعي، فلا حظَّ للنفس ولا أُنس للطبع فيها، ولا اهتداءَ للعقل إلى معانيها، فلا يكون الإقدام عليها إلا لمجرّد الأمر وقصدِ الامتثال له، من حيث أنه أمرٌ واجبُ الاتّباع، ففيها عَزْلُ العقلِ عن تصرُّفِه، وصَرْفُ النفس والطبع عن محل أُنسه، فإنّ كلّ ما أدركَ العقلُ معناه، مالَ الطبعُ إليه مَيلاً ما، فيكون ذلك المَيل مُعِيناً للامتثال، فلا يظهرُ به كمالُ الرِّقّ والانقياد، ولذلك قال النبيّ صلّى الله عليه وآله في الحجّ على الخصوص: «لَبَّيْكَ بِحِجَّةٍ حَقّاً، تَعَبُّداً ورِقّاً». ولم يقلْ ذلك في غيره من العبادات.

فمثلُ هذه العبادات ـ أي ما لم يهتدِ العقلُ إلى معناه ووَجهِه ـ أبلغُ أنواع العبادات في تزكية النفوس، وصرفِها عن مُقتضى الطبع والبغي إلى الإسترقاق، فتعجُّبُ بعض الناس من هذه الأفعال العجيبة مصدرُه الجهلُ بأسرار التعبُّدات.

وهذا هو السرّ في تشريع الحجّ، مع دلالة كلِّ عملٍ من أعماله على بعض أحوال الآخرة، أو في بعض أسرارٍ أُخَر؛ منها اجتماعُ أهلِ العالَم في موضعٍ تكرّر فيه نزولُ الوحي، وهبوطُ جبرئيل، وغيرِه من الملائكة المقرّبين على رسولِه المُكرَّم، ومِن قَبْلِه على خليلِه المُعظَّم ـ عليهما أفضل الصلاة ـ بل لا يزال مرجعاً ومنزلاً لجميع الأنبياء، من آدم إلى الخاتم، ومهبطاً للوحي، ومحلاً لنزول طوائف الملائكة. وقد تولّدَ فيه سيّدُ الرسل صلّى الله عليه وآله، وتوطَّأت أكثرَ مواضعِه قدمُه الشريفة، وأقدامُ سائر الأنبياء، ولذلك سُمِّيَ بـ «البيت العتيق»، وقد شرَّفه الله تعالى بالإضافة إلى نفسه، ونصبَه مقصداً لِعبادِه، وجعلَ ما حواليه حَرَماً لبيته، وتفخيماً لأَمره. وجعلَ عرفات كالميدان على فناءِ حَرمِه، وأكَّدَ حُرمة الموضع بتحريمِ صيدِه، وقَطْعِ شجرِه، ووضعَه على مثال حضرةِ الملوك، فقصدَه الزوّارُ من كلّ فجٍّ عميق، ومن كلّ أَوْبٍ سَحيق، شُعثاً غُبراً، متواضعين لربّ البيت، ومُستكينين له، خضوعاً لجلاله، واستكانةً لِعِزَّتِه وعَظَمتِه، مع الاعتراف بتنزُّهِه عن أن يحويَه بيت أو يكتنفَه بلد. ولا ريب في أنّ الاجتماع في مثل هذا الموضع، مع ما فيه من حصول المُوالفة والمُصاحبة، ومجاورةِ الأبدال والأوتاد والأخيار المُجتمعين من أقطار البلاد، وتظاهرِ الهمم، وتعاونِ النفوس على التضرُّع والإبتهال، والدعاء المُوجب لسرعة الإجابة بذِكر النبيّ صلّى الله عليه وآله، وإجلالِه، ونزول الوحي عليه، وغايةِ سعيِه واهتمامه في إعلاء كلمة الله ونشرِ أحكام دينه، فتحصل الرِّقة للقلب والصفاء للنفس.

قال صلّى الله عليه وآله: «أَبْدَلَنا بالرّهبانيّة الجهاد، والتكبير على كلّ شَرَف [مُرْتَفَع] ـ يعني الحج ـ وَأَبْدَلَنا بالسياحة الصوم».

* من كتابه «جامع السعادات»

الإمام محمد الباقر عليه السلام

خامس أئمة المسلمين

الصلاة على الإمام الباقر عليه السلام	من الصلوات الكبيرة
الإمام الباقر عليه السلام: ملامح عامة	إعداد و تنسيق: جعفر سويد
الباقران و الصادقان عليهما السلام	من دروس «المركز الإسلامي»
قالوا في الإمام الباقر عليه السلام	إعداد: محمد حسن يونس
منهج التزكية عند الإمام الباقر عليه السلام	السيد منذر الحكيم
من وصايا الإمام الباقر عليه السلام	تنسيق: محمد العبدالله
الإخبار بما كان أو يكون	أسرة التحرير

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ
باقِرِ العِلْمِ وَإِمامِ الهُدى وَقائِدِ أَهْلِ
التَّقْوى وَالمُنْتَجَبِ مِنْ عِبادِكَ
أَللّٰهُمَّ وَكَما جَعَلْتَهُ عَلَماً لِعِبادِكَ
وَمَناراً لِبِلادِكَ وَمُسْتَوْدَعاً لِحِكْمَتِكَ
وَمُتَرْجِماً لِوَحْيِكَ وَأَمَرْتَ بِطاعَتِهِ
وَحَذَّرْتَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، فَصَلِّ عَلَيْهِ
يا رَبِّ أَفْضَلَ ما صَلَّيْتَ عَلى
أَحَدٍ مِنْ ذُرِّيّاتِ أَنْبِيائِكَ وَأَصْفِيائِكَ
وَرُسُلِكَ وَأُمَنائِكَ يا رَبَّ العالَمِينَ.

من «الصلوات الكبيرة» على المعصومين
المرويّة عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام

الإمام الباقر عليه السلام
ملامح عامة

إعداد وتنسيق: جعفر سويد

* أَبْلَغَه الصحابيّ الجليل جابرُ الأنصاريّ سلاماً خاصّاً في سياق رسالة من رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى الأجيال، لِتَعْقِدَ القلوبَ على إمامة الباقر عليه السلام وفرادةِ مُهمَّتِه المحمديّة.
* وارثُ وارثِ الحسين عليهم السلام.
* كان في كربلاء مع أبيه الإمام السجّاد عليه السلام، وعاش معه ظروف السَّبيِ النبويّ.
* كان الإمام الباقر يتختّم بخاتم جدّه الإمام الحسين عليه السلام الذي كان نقشُه (إنّ اللهَ بالغُ أَمْرِه)، أما نقشُ خاتم الإمام الباقر فهو: (العِزّةُ لله جميعاً).

تجلّت في شخصيّة الإمام الباقر سِماتُ أبيه السجّادِ زينِ العابدين، وجدِّه الإمام الحسين، وعمِّه الإمام الحسن المجتبى، وجدّيه: الإمام عليّ بن أبي طالب إمام المتّقين، والنبيّ الأكرم خاتم النبيّين صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين.

الهيبةُ نبويّة، والملامحُ محمديّة عَلويّة هاشميّة، قال فيه الشاعر المغربيّ:

يا ابـــنَ الـــذي بلسانِه وبيانِه ... هُـــــدِيَ الأنـامُ ونُـــزِّلَ التنزيلُ
عن فضله نطقَ الكتابُ وبـشّرتْ ... بقُدومـــــــه الـتـوراةُ والإنجيلُ
لـولا انقـطاعُ الوحي بعدَ محـمدٍ ... قلنا: محمـــــــدُ من أبيه بديلُ
هـو مثلُه في الفـــضل إلا أنّـــه ... لـم يأتـــه برسالـــــةٍ جبريـلُ

بمزيدٍ من الفرح والابتهاج استقبلَ أهلُ البيت عليهم السلام وليداً مباركاً عظيماً هو خامس أوصياء خاتم النبيّين؛ الأئمةِ الإثني عشر، سادةِ الأوصياء وساسةِ العباد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأساتذةِ البشريّة في المنهج العلميّ العقليّ، وعلمِ التوحيد ووعي الوجود وسائر العلوم التي تقوم عليها الحضارة الإنسانيّة.

سلامُ رسول الله ﷺ: عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ جابر بن عبد الله الأنصاريّ كان آخرَ مَن بقي من أصحاب رسول الله، وكان رجلاً مُنقطعاً إلينا أهلَ البيت، وكان يقعد في مسجد رسول الله ﷺ وهو مُعتَجِرٌ بعمامة سوداء، وكان ينادي: يا باقرَ العِلم، يا باقرَ العِلم، فكان أهلُ المدينة يقولون: جابرٌ يَهجُر، فكان يقول: لا والله ما أهجُر، ولكنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إنّك ستُدرِكُ رجلاً منّي، إسمُه إسمي وشمائلُه شمائلي، يبقُر العلمَ بقْراً، فذاك الذي دعاني إلى ما أقول. فبينا جابرٌ يتردّد ذاتَ يوم في بعض طُرُق المدينة إذ مرّ بطَريق.. في ذاك الطريق كُتّابٌ فيه محمدُ بن عليّ، فلمّا نظر إليه قال: يا غلام أَقْبِل، فأَقْبَل، ثمّ قال له: أَدْبِر، فَأَدْبَر، ثمّ قال: شمائلُ رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده، يا غلامُ ما اسمُك؟ قال: اسمي محمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسين، فأَقبلَ عليه يُقبّل رأسَه، ويقول: بأبي أنت وأُمّي، أبوك رسول الله ﷺ يُقرِئُك السلام ويقول ذلك. فرجع محمدُ بن عليّ بن الحسين إلى أبيه وهو ذَعِر فأخبره الخبر، فقال له: يا بنيّ، وقد فعلها جابر؟ قال: نعم، قال: الزم بيتك يا بنيّ. فكان جابر يأتيه طَرفَي النهار، وكان أهلُ المدينة يقولون: واعَجَباه لجابر، يأتي هذا الغلامَ طَرفَي النهار وهو آخرُ من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ..» الكافي، ج ١

الولادة: وُلدَ الباقر، أبو جعفر، محمدُ بنُ عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، يومَ الجمعة غُـرّة [الأوّل من] رجب، سنة سبع و خمسين للهجرة، وقيل غير ذلك. وهو عليه السلام أولُ مولود التقتْ به عناصرُ السِّبطين الكريمين الحسن والحسين عليهما السلام، وامتزجت به الأصول الكريمة التي أعزّ بها الله عزّ وجلّ المسلمين خاصّة، والبشرية عامّة.

الأب والأم: الأب هو الإمام السجّادُ زينُ العابدين كما سمّاه جدّه رسول الله ﷺ حين قال: «**إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ: أين زين العابدين؟ فكأني أنظر إلى وَلدي عليّ بن الحسين بن عليّ بنِ أبي طالب، يَخْطرُ بين الصفوف**».

الأم هي السيدة الطاهرة فاطمة بنت الإمام الحسن سيّدِ شباب أهلِ الجنة. وهي «**الصِّدّيقة التي لم يُدرَك في آل الحسن مثلُها**» كما في صريح الرّواية عن الإمام الباقر عليه السلام. وحسبُها سُموّاً أنها بِضعةٌ من ريحانة رسول الله ﷺ، اختارها الله تعالى أُمّاً للإمام الباقر، باقرِ علوم النبيّين.

تسميَـتُه: سمّاه جدّه رسول الله ﷺ، بـ «محمد» على اسمه، ولقّبه بالباقر قبل أن يُولَد بعشرات السنين، وقد استشفّ من وراء الغيب ما سوف يقوم به سبطُه من نشر العلم بين الناس وإذاعته، فبشّر به أُمّتَه، كما بعث له بتحيّاته مع الصحابيّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري.

كُـنيتُه و ألقابه: كُنيتُه (أبو جعفر) ولا كنية له غيرها، وقد كُنّي باسم الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

ألقابه الكثيرة تدلّ على شخصيّته العظيمة وأخلاقه المحمديّة السامية، منها:

الأمين (لقّبه به جدّه الرسول الأكـرم ﷺ)، والشاكر، والهادي، والشبيه (لأنه كان يُشبه جدّه رسول الله ﷺ)، والصابر، والشاهد.

لكنّ لقبه (الباقر) هو أكثرها شهرةً وذيوعاً، وقد لُقِّبَ هو وابنه الإمام الصادق عليه السلام بـ (الباقرَين)، وبـ (الصادقَين) من باب التغليب.

وفي عِلّة هذا اللقب، سُئل جابر الجُعْفي: لِمَ سُمّي الباقر باقراً؟ قال: «لأنه بَقَرَ العلمَ بَقْراً، أي شَقّه شقاً

وأظهره إظهاراً». وفيه يقول الإمام الفرضيّ:

يا باقرَ العلم لأهلِ التُّقى وخيرَ من لبّى على الأجْبُلِ.

شمائله: ملامحُه الشريفة، حسب ما يقول جابر بن عبد الله الأنصاريّ الصحابيّ الظاهرة: «كملامح جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وشمائلِه». وصفَه بعض المعاصرين له فقال: «معتدل القامة، أسمر اللون، رقيق البشرة، له خالٌ، ضامرُ الكشح، حَسَنُ الصوت».

يقول المؤرّخون: سُئل الإمام الخامس محمد الباقر عليه السلام عن أدقّ المسائل العلميّة، فأجاب عنها وكان له من العمر تسعُ سنين.

بيوتٌ أَذِنَ اللهُ أن تُرفع: أتى قُتادَة بن دعامة البصري أبا جعفر الباقر، فقال له الإمام عليه السلام: «**أنت فقيه أهل البصرة؟**»، قال: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «**ويحَك يا قتادة، إنّ الله عزّ وجلّ خلق خلقاً من خلقِه فجعلهم حُجَجاً على خَلقِه، فهم أوتادٌ في أرضه، قُوّامٌ بأَمْرِه، نُجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقِه أظلّةً عن يمين عرشِه**»، فسكت قتادة طويلاً، ثمّ قال: أصلحَك الله، والله لقد جلستُ بين يدَي الفقهاء وقدّام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدّام واحدٍ منهم ما اضطرب قدّامك، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «**أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي بيوتٍ أَذِنَ الله أن تُرفع ويُذكَر فيها اسمُه، يسبّح له فيها بالغُدُوِّ والآصال رجالٌ لا تُلهيهم تجارة ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأنت ثمّ ونحن أولئك**»، فقال له قتادة: صدقتَ والله، جعلني الله فداك، والله ما هي بيوتُ حجارةٍ ولا طِين. ورُوي مثل هذه الحادثة عن عِكرِمة، المفسّر المعروف.

أولاده:

أ ـ الذكور: الإمام جعفر الصادق عليه السلام، عبد الله، إبراهيم، عبيد الله، علي.

ب ـ الإناث: السيدة زينب، والسيدة أم سَلَمَة. (يبدو أنّ اختيار التسمية بـ«أم سَلَمة» جاء تأكيداً للوفاء لأمّ المؤمنين الجليلة أم سلمة رضوان الله تعالى عليها).

أشهَرُ إخوته:

١ـ الشهيد زيد

هو الذي ملأ الدنيا بعِلمه وفضائله وشَمَم آبائه، نشأ في بيت النبوّة والإمامة، وتغذّى بلباس الأدب وروح الحكمة، وآثر رضا الله وطاعته على كلّ شيء. كان لصُحبتِه أخاه الباقر عليه السلام أثرٌ فعّال في سلوكه وتكوين شخصيّته.

وُلد الشهيد زيد سنة ٧٨ هـ، ولمّا بُشِّر أبوه الإمام زين العابدين عليه السلام بولادته، تناول المصحف الشريف وفتحه متفائلاً به، فخرجت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ..﴾ التوبة:١١١، وفتحه ثانية فخرجت الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران:١٦٩، ثمّ فتح المصحف ثالثة فخرجت الآية: ﴿..وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا..﴾ النساء:٩٥، عندها قال الإمام السجّاد عليه السلام: «**عُزِّيتُ عن هذا المولود وإنّه لَمِنَ الشهداء**».

قام الشهيد زيد بثورة عارمة ضد الحكم الأمويّ الجائر والظالم والمستبدّ في أمور المسلمين سنة ١٢٢ هـ، لكنّ خيانة أهل الكوفة وغدرَهم أفشلا ثورتَه، فمضى عزيزاً كريماً تحت ظلّ السيوف.

٢ـ الحسين الأصغر

كان من مفاخر الأُسرة النبويّة في فضله وتقواه وسائر مواهبه، وكان من العلماء البارزين في عصره. تحلّى بالحلم والوقار والتُّقى والوَرع. نشأ في بيت الحكمة، وتغذّى من مثل أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام ومن كمالاته وزُهده في الدنيا. تُوفّي في يثرب عن عمر يناهز ٥٧ عاماً، ودُفن بالبقيع مجاوراً لأبيه الإمام زين العابدين ولأخيه الإمام الباقر عليهما السلام.

٣ـ عبد الله الباهر

هو أخو الإمام محمد الباقر لأُمّه وأبيه. لُقّب بالباهر لجماله، وما رآه أحدٌ إلا هابَه وأكبرَه. كان من مفاخر أبناء الأئمّة الطاهرين في عِلمه ووَرَعِه وتقواه. عَني بتربيته أبوه الإمام زين العابدين عليه السلام فغذّاه من علومه وفضائله. يقول المؤرّخون إنه من فقهاء أهل البيت

الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. روى عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، كما روي مرسلاً عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، وعن جدّه لأُمّه الإمام الحسن عليه السلام. تولى عبد الله بالنيابة عن إخوته صَدَقات النبيّ صلى الله عليه وآله، وصدقات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقام بتوزيعها على حسب ما جاء في وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

أشهَر أبنائه: أولاد الإمام الباقر عليه السلام كإخوته، كانوا من مفاخر المسلمين في هديهم وصلاحهم، وهم خمسة ذكور وسيّدتان ـ كما تقدّم ـ وأشهرهم:

١ـ الإمام جعفر الصادق عليه السلام

هو سيّدُ وُلدِه، ووصيُّه، والإمامُ القائمُ من بعده، كان ـ كأبيه عليه السلام ـ في طليعة سادة الأولياء، وساسةِ العالم، وأساتذةِ البشرية على الصعيد العلميّ والفكريّ والاجتماعيّ. (أنظر ملف العدد الخامس من «شعائر»).

٢ـ عبد الله

أُمّه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر. كان من أفاضل العلويّين، لكنّ يدَ الشرّ الأُمويّة امتدّت إليه حيث دخل عليه أحدُ أرجاس بني أميّة وسقاه السمّ، فلم يلبث غير قليلٍ وفارق الحياة.

٣ـ علي

لُقِّبَ بالطاهر لطهارة نفْسِه وعظيمِ شأنه، عاش في كَنَف أبيه الإمام الباقر عليه السلام وتربّى على هَدْيه فكان المثال للفضل والكمال وحُسن الخُلق. جاء في «سفينة البحار» عن صاحب «رياض العلماء»: أنّ قبره في مدينة كاشان في إيران، وعليه قُبّة رفيعة عظيمة، وله كرامات ظاهرة.

حَوَارِيُّوه: الحواريّون هم أقرب الأصحاب. رُوي عن الإمام الكاظم عليه السلام: «.. **ثمّ ينادي المنادي: أين حواريّ [حواريّو] محمد بن علي وحواريّ [حواريّو] جعفر بن محمد؟ فيقوم عبد الله بن شريك العامري، وزُرارة بن أَعين، وبريد بن معاوية العجلي، ومحمد بن مسلم، وأبو بصير ليث بن البختري المرادي، وعبد الله بن أبي يعفور، وعامر بن عبد الله بن جداعة، وحجر بن زائدة، وحِمران بن أَعين..**». وقد ذُكر في عدادهم جابرُ الجعفيّ الذي روى عن الإمام أكثر الأحاديث.

ملوك عصره: كانت مدّة إمامته عليه السلام تسعة عشر عاماً، عاصرَه خلالها ملوك بني أُميّة: الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك.

إقامته: أقام عليه السلام طيلة حياته في يثرب (المدينة المنوّرة) دارِ الهجرة، ولم يبرحْها إلى بلد آخر، وقد كان فيها الرائد الأكبر للحركات العلميّة والثقافيّة والمُعلّم الأول، وقد اتّخذ المسجد النبويّ مدرسة له يُلقي فيه محاضراته القيّمة على طلابه. كيف لا وهو الباقر الذي بقر العلم بقراً، وأظهره إظهاراً، فملأ الدنيا بعلمه وحديثه ومحاوراته.

شهادته: استُشهد الإمام الباقر صلوات الله عليه مسموماً بتدبيرٍ من هشام بن عبد الملك الأمويّ، يوم الاثنين، السابع من ذي الحجّة سنة ١١٤ هـ، وله من العمر ٥٨ سنة. ودُفن في البقيع إلى جوار عمّه الإمام الحسن المجتبى وأبيه الإمام السجاد، وفي نفس الموضع دُفن لاحقاً ابنه الإمام الصادق سلام الله تعالى عليهم أجمعين.

أئمة البقيع عليهم السلام

نصُّه على الإمام الصادق عليه السلام: نصّ الإمام الباقر على إمامة ولده أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام في أكثر من مناسبة، ومن ذلك ما رواه أبو الصباح الكناني، قال: نظر أبو جعفر إلى أبي عبد الله يمشي، فقال: «ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ القصص:٥».

الباقران و الصادقان عليهم السلام

ما هو سرُّ هذه التثنية في أسماء الأئمّة أو ألقابهم؟ وما علاقة ذلك بوَحدة الدّور وفرادة المهمّة بين طَرَفَي كلّ تثنية؟

وما هي علاقة ذلك بكَون الأئمّة الإثني عشر منظومةَ استمرار النبوّة وبقاءِ الإسلام؟

ثمّة محاور عقائديّة بالغة الأهميّة حول الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام، ينبغي أن يتوفّر عليها البحثُ العلميُّ المنهجيُّ الذي تتوفّر موادُّه في الروايات الكثيرة عن أوصياء رسول الله؛ الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، من مرحلة ما قبل الخلق وإلى مشاهد القيامة، إلا أنّ التعتيم الإعلاميّ لأنظمة الجور ـ وإنْ لم يستطع تغييبهم عن عقيدة الأجيال وقلوبها ـ تمكّن من تغييب كثيرٍ من الحقائق المختصّة بهم عليهم السلام، بحيث أصبح الوصول إلى هذه الحقائق يستدعي التركيز على الثوابت والإنطلاق منها لجمع شمل العناصر المرتبطة بهم عليهم السلام.

«كلّهم تجتمعُ عليهم الأُمّة»

يُوضح ما تقدّم، التغييبَ الأساس لحقيقة أنهم الأئمّة الإثنا عشر، الخلفاء، النقباء، الأسباط، الذين تحدّث عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد نتج عن تغييب تطبيق هذا الثابت ـ المُجمَع عليه بين المسلمين على الأئمّة الإثني عشر ـ من الأضرار العقائديّة والسلوكيّة ما لا يُحصى، وليس بعضُه إلا جهلُ الأمّة بأنّ بقاء الإسلام كان بإذن الله تعالى وتوفيقِه لهم عليهم السلام، فلم ينتقل الإسلام إلى الأجيال عبر امبراطوريّاتٍ حكمتْ باسْمِه، ولا عبر علماء بِلاطاتها، بل بتوفيق الله تعالى لمن قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يزال الدين قائماً، حتى تقوم الساعة، أو

المسجد النبوي كما يبدو من البقيع

يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»، كما ورد ـ مثلاً ـ في «صحيح مسلم».

تجدر الإشارة إلى أهميّة البحث في فقرة «كلّهم تجتمع عليهم الأمّة» التي وردت ـ مثلاً ـ في سُنن أبي داود، باعتباره دليلاً متقدّماً جدّاً على أنّ المُراد بالإثني عشر: عليٌّ أمير المؤمنين وبنوه إلى المهديّ المنتظَر.

سبب هذه الأهميّة أنه لا يُوجد أيّ إجماع من الأمّة على اثني عشر شخصاً يُمكن أن يكونوا الخلفاء الذين قصدَهم رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا إجماعٌ على عليٍّ وبنيه الأئمّة عليهم السلام.

ويكفي لليقين بإجماع الأُمّة عليهم تتبّعُ تراجمهم عليهم السلام في أمّهات المصادر، والتأمّلُ في الثابت من سِيرتهم، وتعاملِ الأمّة مع كلٍّ منهم باعتباره مرجعَ الأمّة في عقيدتها، والطريقَ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، والتوحيد الخالص.

إلهيّة التسمية وظاهرة التثنية

من هذه المحاور العقائديّة الهامّة جداً:

أولاً: هل أنّ جميع تسميات الأئمّة تسمياتٌ إلهيّة، كما ثبت ذلك للحسنين عليهما السلام بإجماع المسلمين؟ وهل يشمل ذلك أشهر ألقابهم، وهي:

المرتضى، والمجتبى، وسيّد الشهداء، والسجّاد، والباقر، والصادق، والكاظم، والجواد، والهادي، والعسكريّ، والقائم عليهم جميعاً صلوات الرحمن؟

ثانياً: ما هو سرّ ظاهرة التثنية في أسماء بعض الأئمّة وألقابهم، والمُراد بالخصوص هذه التثنيات: الحَسنان، الباقران أوالصادقان، والعسكريّان.

وحدةُ مهمّة وفَرادةُ دور

هل لهذه التثنية دلالة على وَحدة المهمّة وفرادةِ الدور؟ يُعبَّرُ عن الإمام الباقر وابنه الإمام الصادق عليهما السلام بـ «الباقرَين» و«الصادقَيْن»، وهو تعبير يستدعي الوقوف عنده بتدبّر لنسأل: هل وراء هذه التثنية دلالة أبعد من المشهور؟

والمشهور أنّ السبب في إطلاق هذين الوصفين عليهما أنْ يكون الراوي لحديثٍ عن أحدهما لم يسمِّ الإمام الذي سمع منه الرواية، وبما أنه ثقة وقد حدّث عنهما معاً، لذلك يُعبّر ناقل الرواية بقوله: «عن أحد الصادقيْن»، أو «عن أحدهما» عليهما السلام.

والسبب الذي يدعو إلى التدبّر، أنّ موارد استعمال وصف «الباقرَين» أو «الصادقَيْن» لا تنحصر بذلك إطلاقاً، بل يدلّ انتشار استعمالها على ثنائيّة تُشبه ثنائيّة «الحسنين» عليهم جميعاً سلام الله تعالى.

سنجد أنّ إطلاق وصفَي «الباقر» و«الصادق» على كلٍّ منهما عليهما السلام إطلاقٌ نبويٌّ في الأصل، فقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الإمام الباقر: «يبقر العلم بقراً» ومنه اشتُقّ اسمُ «الباقر»، كما رُوي عنه صلى الله عليه وآله: «إذا وُلد ابني جعفرُ بنُ محمد بنِ عليّ بنِ الحسين بنِ عليّ بن أبي طالب فسمّوه بالصادق..».

ونجد أيضاً أن التعبير عنهما بـ «الباقرَين» و«الصادقَين» يرد في أُمّهات المصادر لكبار العلماء ـ كالشيخ المفيد والشهيدين الأول والثاني وغيرهم ـ بشكلٍ مستفيضٍ جداً لكلٍّ من الوصفين، سواءً أكان ذلك في سياق إيراد رواية عن أحدهما أم لم يكن.

وهذا يطرح السؤال التالي: هل للألقاب الأشهر للأئمّة عليهم السلام بُعْدٌ عقائديّ خاصّ وراء دلالة اللفظ الأقرب؟ ويجدر أن يتناول البحث هنا الألقاب التي اشتهرت روايتُهاعن النبيّ مثل «الباقر» و«الصادق»، أو ما لم تشتهر روايتُه عنه صلى الله عليه وآله، بهدف استقصاء كلّ نصٍّ نبويّ في هذا المجال.

ويتركّز الحديث هنا حول «الباقرَين» و«الصادقَين».

التجديدُ الأعظم للبعثة النبويّة

رغم أنّ كلّ إمام من الأئمة الإثني عشر مجدِّدٌ للبعثة النبويّة في عصره، إلا أنّ الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، يشتركان في التجديد الأعظم للبعثة النبويّة المباركة.

منذ شهادة أمير المؤمنين إلى عصر إمامة الباقر، (حوالي نصف قرن) لم تكن الظروف مؤاتية لتغرف الأمة من معدن الوحي والتنزيل، وكانت كربلاء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام خلال هذه المدّة قد هزّت ضمير الأمّة وأقامت الحُجّة التامّة عليها في ذهابها عريضاً في أودية آل أبي سفيان، إلا أن حاجزَي الترهيب والترغيب كانا ما يزالان بحاجة إلى تفكيك، وقد تمكّن الإمام السجّاد عليه السلام من إنجاز هذه المهمة عبر تثبيت البُعد الروحيّ في الأمّة، وما إن أطلّت فترة إمامة الإمام الباقر عليه السلام حتى أصبحت الأمّة توّاقة إلى فقه علوم التوحيد والقرآن والشريعة، وقد ساعد على ذلك أنّ الإمبراطوريّة الأمويّة كانت تواجه نهاياتها، مما أتاح للإمام الباقر عليه السلام أن يكون محمدَ عصره، ليقوم بأعباء وصاية جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله بالمستوى الذي جعله أبرزَ مجدّدٍ للبعثة النبويّة.

وحيث إنّ هذه المرحلة الزمنيّة كانت مرحلة متقدّمة في انتشار الإسلام، وترامي رُقعة الحكم باسمه، وتعاظم دخول الناس في دين الله أفواجاً على نطاق واسع جداً، فقد برزت حاجة النظام إلى المُستنَد العقائديّ الذي يُمكّن من مواجهة الشُّبُهات التي حملتها الثورة الثقافيّة المضادّة، وهو ما جعل لسان حال النظام في آخر الإمبراطوريّة الأمويّة، ما قاله المتوكّل العباسي للإمام العسكريّ عليه السلام في مواجهة

مُعضلة عقائديّة، قال المتوكل: «أَدْرِكْ دينَ جدّك يا أبا محمد».

لم يكن لإدراك الإسلام وإنقاذه في قلوب الناس من الشُّبُهات إلا الإمام الباقر، فهو مَن أمرَ اللهُ تعالى نبيَّه بالنصّ عليه وبامتياز.

صحيحٌ أنّ ذلك هو شأنُ كلّ إمامٍ في عصره، إلا أنّ إمامة الإمام الباقر هي البعثة النبويّة الثانية لمن لا نبيّ بعده صلى الله عليه وآله. وكما كانت البعثة النبويّة تأسيساً يتلخّص بالعنوان الأبرز الذي أطلقه رسول الله صلى الله عليه وآله: «قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا»، كذلك كانت فترة إمامة الإمام الباقر عليه السلام تجديداً للتأسيس، وتثبيتاً له، واستمراراً لنقائه ودواماً.

ويُمكن استيضاح موقع التأسيس الثاني من التأسيس الأوّل، من التأمُّل في أنّ الثاني على يد الإمام الباقر لم يكتمل ولم يتبلور ويبلغ مداه إلا على يد الإمام الصادق عليهما السلام. روى الشيخ المفيد في «الإرشاد» عن الإمام الصادق عليه السلام: «لما حضرت أبي الوفاة قال: يا جعفر، أُوصيك بأصحابي خيراً، قلت: جُعلت فِداك، والله لأدعنهم والرَّجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحداً». قال العلامة المجلسي: «أي حتى يصيروا علماء "..." لا يحتاجون إلى السؤال..».

نستنتج ممّا سبق فرادةَ المهمة التي قام بها الإمام الباقر، واكتمالها على يد الإمام الصادق، وهو ما يكشف عن أنّ التعبير عنهما بـ «الباقرَين» أبعدُ من مجرّد تغليب لفظيّ لمتقارِنَين، كالقمرين أو الفرقدين مثلاً.

«الباقران»

لعلّ التغليب في «الباقرَين» يرتكز إلى عظمة نبويّة خاصّة في الإمام الباقر، جعلتْه يحظى من بين الأئمّة التسعة من ذريّة الحسين عليه السلام برسائل وتأكيدات خاصّة من رسول الله صلى الله عليه وآله، مع أنّ الأئمّة كلّهم من الحقيقة المحمديّة.

تتجلّى هذه العظمة المحمديّة الخاصّة للإمام الباقر في وفرة نصوص الإمام الصادق التي يتحدّث فيها عن أبيه الباقر، وهي وفرة تكشف بمنتهى الجلاء أن إكبار الإمام الصادق لأبيه الباقر من معدن إكبار الحَسنين لأمير المؤمنين، بل من معدن إكبار وإجلال أمير المؤمنين لرسول الله سيد الخلق أجمعين.

«كان أبي» تعبيرٌ يتكرّر في روايات الإمام الصادق بامتيازٍ خاصّ، كما يظهر هذا الإمتياز في النصوص التي يتحدّث فيها عن شدّة ملازمته لأبيه عليهما السلام.

«الصادقان»

أما التغليب في «الصادقَين» فيرتكز إلى الحنين والحنان الخاصّين اللّذَين كانا يعمران قلب الباقر إلى الصادق.

ويُمكن استجلاء ذلك بالتنبّه إلى أنّ حنين الباقر عليه السلام للمؤمنين يبلغ حدّ قوله: «إنّي لأُحبُّكم وأُحبُّ ريحكم»، فكيف هو حنينُه لإمام المؤمنين من بعده الذي تكتمل مهمّة تجديد البعثة النبويّة الأعظم على يديه؟

تمّت دورة بدر الباقريّة بالصادقيّة، وكان الإنتساب إلى التجديد الباقريّ للبعثة صادقيّاً، فكان كلّ المحمديّين بعد الباقر «جعفريّين»، لا مرجع لهم في علوم الإسلام والوجود يُمكّنُهم أن ينهلوا من المعين الإلهيّ المحمديّ إلا «الصادق».

لعلّ هذا يفسّر هذا التغليب، فيُجيب على السؤال عن السرّ في هذه التثنية؛ «الصادقَيْن» و«الباقرَين» عليهما السلام.

من دروس «المركز الإسلامي» في بيروت

قالوا في الإمام الباقر عليه السلام

إعداد: محمد حسن يونس

قال الصحابيّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يا جابر، يُوشك أنْ تلحقَ بولدٍ من وُلدِ الحسين، اسمه كإسمي، يبقر العلم بَقْراً، أي يفجّره تفجيراً، فإذا رأيتَه فأقرئه منّي السلام».

***

«نحن فخورون أنّ منّا باقرَ العلوم، أسمى شخصيّة في التاريخ، ولم ولن يُدرك أحدٌ منزلتَه غير الله والرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، والأئمّة المعصومين عليهم السلام. نحن فخورون بأنّ مذهبنا جعفريّ، وأنّ فقهنا، وهو بحرٌ لا يتناهى، واحدٌ من آثاره، ونحن فخورون بكلّ الأئمّة المعصومين عليهم صلوات الله، ونحن ملتزمون باتّباعهم».

من وصيّة الإمام الخميني قُدّس سرّه

قال ابن منظور في «لسان العرب»:

«التَّبَقُّر: التوسُّعُ في العلم والمال، وكان يُقال لمحمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ الباقرُ رضوان الله عليهم، لأنه بَقَرَ العِلم وعرف أصله، واستنبطَ فرعه، وتبقّرَ في العلم».

وقال الفيروزآبادي في «القاموس المحيط»: «والباقرُ محمد بن عليّ بن الحسين لتبحُّرِه في العِلم».

وقال الطريحي في «مجمع البحرين»: «وتبقَّرَ في العلم: توسَّع، ومنه سُمّي أبو جعفر الباقر عليه السلام، لأنّه بقرَ العِلم بقراً، وشقّه، وفتحَه».

***

١- قال الشيخ المفيد رضوان الله عليه: «لم يظهر عن أحدٍ من وُلد الحسن والحسين عليهما السلام في عِلم الدين، والآثار، والسُّنَّة، وعلم القرآن، والسيرة، وفنون الآداب، ما ظهر من أبي جعفر الباقر عليه السلام. وروى عنه بقايا الصحابة ووجوهُ التابعين وفقهاءُ المسلمين، وسارت بذكر كلامه الأخبار».

٢- قال عبد الله بن عطاء المكّي: «ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين، ولقد رأيت الحكم بن عيينة ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديه كأنّه صبيّ بين يديّ مُعلّمه.

٣- كتب والي المدينة إلى عبد الملك بن مروان يصف الإمام الباقر عليه السلام: «.. ليس اليوم على وجه الأرض أعفّ منه ولا أزهد ولا أورع منه، وإنّه مِن أعلم الناس، وأرقّ الناس، وأشدّ الناس اجتهاداً وعبادة، وكرهتُ لأمير المؤمنين التعرّض له، فـ ﴿.. إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ..﴾ الرعد:١١».

٤- قال له عبد الله بن معمّر الليثي: «ما أحسب صدورَكم إلّا منابت أشجار العِلم، فصار لكم ثمرُه وللناس ورقُه».

٥- قال شمس الدين محمد بن طولون: «أبو جعفر محمد بن زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، الملقّب بالباقر، وهو والد جعفر الصادق رضي الله عنهما، كان الباقر عالماً، سيّداً كبيراً، وإنّما قيل له الباقر لأنه تبقَّرَ في العلم، أي توسّع، والتبقير التوسيع، وفيه يقول الشاعر:

يا باقرَ العِلم لأهلِ التُّقَى
وخيرَ من لبّى على الأجبُلِ».

٦- قال محمد بن طلحة الشافعيّ: «هو باقر العلم

وجامعُه، وشاهرُ عَلَمِه ورافعُه، ومُنفقُ دُرِّه وراضعُه [راصعه]، ومُنمِّق دُرّه وواضعُه، صفا قلبُه وزكا عملُه، وطهُرت نفسه، وشرُفت أخلاقُه، وعمرت بالطاعة أوقاتُه، ورسخت في مقام التقوى قدمه، وظهرت عليه سمات الازدلاف وطهارة الاجتباء، فالمناقب تسبق إليه والصفات تشرق به...وأما اسمه فمحمد، وكُنيتُه أبو جعفر، وله ألقاب ثلاثة؛ باقر العلم، والشاكر، والهادي، وأشهرها الباقر، سُمِّي بذلك لتَبَقُّرِه العلم وهو توسُّعُه فيه، وأما مناقبه الحميدة وَصِفاته الجميلة فكثيرة».

٧- قال ابن أبي الحديد في «شرح النهج»: «كان محمد بن عليّ بن الحسين سيّدَ فقهاء الحجاز، ومنه ومن ابنه جعفر تعلّم الناسُ الفقه».

٨- قال أبو نعيم الأصبهاني: «الحاضر الذاكر، الخاشع الصابر، أبو جعفر، محمد بنّ عليّ الباقر، كان من سلالة النبوّة، ومَن جمع حسبَ الدين والأُبوّة، تكلّم في العوارض والخَطَرات، وسفحِ الدموع والعَبَرات، ونهى عن المراء والخصومات».

٩- قال أحمد بن يوسف الدمشقيّ القرمانيّ: «منبع الفضائل والمفاخر، الإمام محمد بن عليّ الباقر رضي الله عنه، وإنما سُمّي بالباقر لأنه بَقَرَ العلم..».

١٠- قال المالكيّ ـ المعروف بابن الصبّاغ ـ: «وكان محمد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام مع ما هو عليه من العلم والفضل والسُؤدد والرياسة والإمامة، ظاهرَ الجود في الخاصّة والعامّة، ومشهورَ الكرم في الكافّة، معروفاً بالفضل والإحسان مع كثرة عياله وتوسُّط حاله».

١١- قال ابن خلّكان: «أبو جعفر محمد بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، المُلقّبُ بالباقر، أحدُ الأئمّة الإثني عشر ".." وكان الباقر عالماً سيّداً كبيراً».

١٢- قال أحمد بن حجر في «الصواعق المحرقة»: «وارثُه [أي وارث الإمام زين العابدين عليه السلام] منهم عبادةً وعلماً وزهادةً أبو جعفر محمد الباقر، سُمّي بذلك من (بَقَرَ الأرضَ)، أي شَقَّها وأثارَ مُخبّآتِها ومكامنَها، فلذلك هو أظهر من مخبّآت كنوز

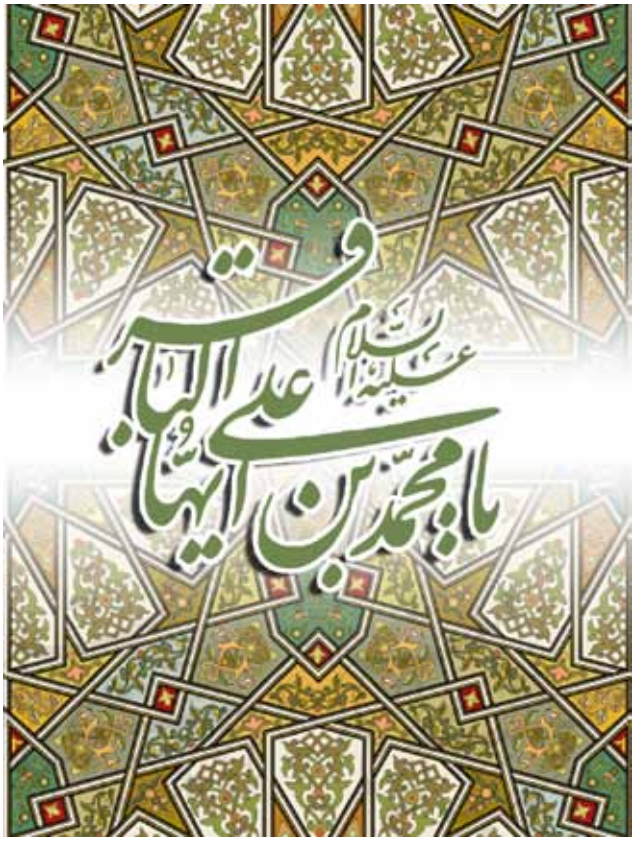

المعارف، وحقائق الأحكام والحكم واللّطائف، ما لا يخفى إلاّ على مُنطمس البصيرَة، أو فاسد الطينة والسريرة، ومن ثَمَّ قيل فيه: هو باقرُ العِلم وجامعُه وشاهرُ عَلَمه ورافعُه، صفا قلبُه، وزكا عِلمُه وعملُه، وطهُرت نفسُه، وشَرُف خُلُقُه، وعمرت أوقاتُه بطاعة الله. (انتهى). وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنةُ الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العُجالة، وكفاه شرفاً أنّ ابن المدينيّ روى عن جابر أنّه قال له ـ وهو صغير ـ: رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يسلّم عليك، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال : كنت عند رسول الله صلّى الله عليه وآله جالساً، والحسينُ في حِجره وهو يداعبه، فقال: يا جابر، يُولَد له مولودٌ اسمُه عليّ، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: لِيَقُم سيّد العابدين، فيقوم وَلَدُه، ثمّ يُولَد له ولدٌ اسمُه محمد، فاذا أدركته يا جابر فأَقْرِئه منّي السلام..».

منهج التزكية عند الإمام الباقر عليه السلام

السيد منذر الحكيم *

لقد رسم الإمام الباقر عليه السلام للجماعة الصالحة منهجاً واقعيّاً متكاملاً وشاملاً لتزكية النفس وتربيتها بحيث يكون كفيلاً بتحقيقها عند مراعاته بشكل دقيق.

وتتحدّد معالم هذا المنهج بالنقاط التالية:

أ- الارتباط الدائم بالله تعالى

الارتباط بالله تعالى، والاستسلام له، والعزمُ على طاعته من شأنه أن يُمحِّصَ القلوب، ويطهّر النفوس، لأنه ينقل الإنسان من مرحلة التفكّر والتدبّر في عَظَمة الله تعالى وهَيمنَته ورقابته، إلى مرحلة العمل الصالح في ظلّ هذا التدبُّر، فالعزم يتبعه العون منه تعالى، ويتبعُه التثبيت على المُضيِّ في طريق تزكية النفس.

والارتباطُ بالله تعالى يبدأ بمعرفتِه التي تَحولُ بين الإنسان وبين مخالفة ربّه وخالقه، قال عليه السلام: «**ما عرفَ اللهَ مَن عصاه**».

فإنّ المعرفة تُنتج الحبّ، والحبُّ الصادقُ يحولُ بين الإنسان وبين مخالفة محبوبه.

والارتباط بالله تعالى يتجسّد في مراتب عديدة منها: حُسنُ الظنّ بالله، ورجاءُ رحمتِه، فقد روى الإمام الباقر عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**والذي لا إله إلا هو، ما أُعطيَ مؤمنٌ قَطّ خيرَ الدنيا والآخرة إلاّ بحُسن ظنّه بالله، ورجائه له، وحُسن خُلُقِه، والكفّ عن اغتياب الناس**».

ويتحقّق الارتباط بالله تعالى أيضاً عن طريق المُداومة على العبادات، وقد حثّ الإمام عليه السلام الجماعة الصالحة على كَثرة العبادة، حتى جعلها إحدى خصائصهم.

وحثّ عليه السلام على قراءة القرآن الكريم والسير على منهاجه. كما حثّ الإمام الباقر صلوات الله عليه، على جعل الروابط والعلاقات الاجتماعيّة قائمةً على أساس القُرب والبُعد من الله تعالى، فقد أَوردَ أحاديث لرسول الله تؤكّد على ذلك، ومنها قولُه صلى الله عليه وآله: «**ودُّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شُعَبِ الإيمان، ومَن أحبَّ في الله، وأَبغضَ في الله، وأَعطى في الله، ومنع في الله، فهو من أصفياء الله**».

ب - الإقرار بالذنْب والتوبة

إنّ منهج أهل البيت عليهم السلام يهدف إلى علاج النفوس البشريّة، واستجاشة عناصر الخير فيها، وإلى مطاردة عوامل الشرّ والضعف والغَفلة.

والطبيعة البشريّة قد تستقيم مرّةً وتنحرف مرّةً أُخرى، ولهذا فإنّ العودة إلى الاستقامة تقتضي محاسبة النفس باستمرار، والاقرار بالأخطاء، ثمّ التوبة، والعزم على عدم العود، ولذا أكّد الإمام عليه السلام على هذه المقوّمات، وبدأ بالاقرار بالذّنْب كمقدّمة للنجاة منه، فقال عليه السلام: «والله ما ينجو من الذنب إلاّ مَن أقرّ به».

وقال عليه السلام: «**كفى بالنَّدَم توبة**».

والإقـرار يتبعُه الغفران بعد طلبه من الله تعالى، قال عليه السلام: «**لقد غفر الله لرجلٍ من أهل البادية بكلمتين دعا بهما، قال: اللّهمّ إنْ تُعذِّبني فأهلُ ذلك أنا، وإنْ تغفر لي فأهلُ ذلك أنت، فغفر له**».

والتوبة تمحو الذنب فيعود الإنسان من خلالها الى الاستقامة ثانية، قال عليه السلام: «**التائبُ من الذنب كَمَنْ لا ذنبَ له، والمُقيم على الذنب وهو مستغفرٌ منه كالمستهزئ**».

ج - الحذر من التورّط بالذنوب

الحذر والحيطة من الذنوب ضرورةٌ مُلحّةٌ في تزكية النفس، وهَي تتطلّب الدقّة في تناول كلّ خالجة وكلّ حركة وكلّ موقف، وتتطلّب التحليل الشامل للأسباب والظواهر والعوامل المُسبّبة للموقف، والتعالي بالنفس في ميادينها الباطنيّة، ولهذا دعا الإمام الباقر عليه السلام إلى الحذر والحيطة من جميع الممارسات فقال: «**إنّ الله خبّأ ثلاثة أَشياء في ثلاثة أشياء: خبّأ رضاه في طاعته، فلا تُحقِّرنَّ من الطاعة شيئاً فلعلّ**

رضاه فيه، وخبّأ سخطَه في معصيته، فلا تُحقِّرنَّ من المعصية شيئاً فلعلّ سخطَه فيه، وخبّأ أولياءَه في خَلقه، فلا تُحقِّرنَّ أحداً فلعلّه ذلك الوليّ».

ودعا عليه السلام إلى الاحتياط في القول في الحكم على الأشخاص والأعمال والمُمارسات فقال: «**لا يسلمُ أحدٌ من الذنوب حتى يخزنَ لسانَه**».

وقال عليه السلام لأحد أصحابه: « **يا فضيل، بلّغ مَن لقيتَ من موالينا عنّا السلام، وقل لهم إنّي أقول: إنّي لا أُغني عنكم من الله شيئاً إلاّ بِوَرع، فاحفظوا ألسنتَكم، وكُفّوا أيديَكم، وعليكم بالصبر والصلاة، إنّ الله مع الصابرين**».

د - تعميق الحياء الداخلي

إنّ مُوجبات التزكية كامنة في النفس ذاتها، قبل التأثّر بالعوامل الخارجيّة، والتزكية ليست مجرّد كلمات ورُؤى نظريّة، بل هي ممارسة وسلوك عمليّ، يجب أن تنطلق من داخل النفس الإنسانية، ولا بدّ من أن يتسلّح الإنسان بالواعز الذاتيّ الذي يصدّه عن فعل القبيح، ولذا أكّد الإمام عليه السلام على الحياء، لأنّه حِصنٌ حصينٌ يردَع الأهـواء والشهوات من الانطلاق اللامحدود، قال عليه السلام: «**الحياءُ والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعَه صاحبُه**».

هـ - كسر الألفة بين الإنسان وسلوكه الجاهليّ

حينما يعتاد الإنسان على السلوك الجاهليّ فإنه سيأنسُ به، ويألفُه حتى يُصبح وكأنه جزءٌ من كيانه، ترضاه نفسه، ويقبلُه قلبُه، ولهذا فهو بحاجة إلى كسر هذه الألفة وهذا الأُنس إن أراد أن يزكّي نفسه ويسمو بها إلى مشارف الكمال، ولذا أكّد الإمام الباقر عليه السلام على بعض الخطوات التي تكسر هذه الألفة، فقال: «إنّ الله يُبغض الفاحش المُتفحّش».

وزرع عليه السلام في النفس كراهية الطمع والرغبات المُذلّة، فقال: «**بئسَ العبد عبدٌ يكون له طمعٌ يقوده، وبئس العبد عبدٌ له رغبةٌ تُذلّه**».

ومن أجل زرع الكراهية للشرّ روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قولَه: «**ألا إنّ شِرار أُمّتي الذين يُكرَمون مخافةَ شرّهم، ألا وإنّ مَن أكرمه النّاس اتّقاء شرّه فليس منّي**».

وقال عليه السلام: « . . **إنّ أسرعَ الشرّ عقوبةً البغيُ، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يَعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحوّل عنه، وأن يُؤذي جليسَه بما لا يعنيه**».

فإذا كُسرت الألفة بين الإنسان وسلوكه الجاهلي فإنّه سيُقلع عنه، ويكون مُهيّئاً لتقبّل السلوك الإسلامي.

و - إزالة الحاجز النفسي بين الإنسان والسلوك السليم

قد يحدث حاجز نفسيّ بين الإنسان والسلوك السليم بسبب ضغط الأهواء والشهوات، أو بسبب الهواجس والوَساوس المُطبقة عليه، وسوء التصوّر، ورواسب الجاهليّة، والضعف البشريّ، فلا بدّ من إزالة هذه الحواجز أولاً، ثمّ التمرّن على ممارسة السلوك السليم ثانياً.

فقد حبّب الإمام عليه السلام إلى أصحابه السلوك الصالح برَبْطِه بالعبادة، وطلب العون من الله تعالى، فقال: «**ما من عبادة أفضل من عفّة بطنٍ وفرْج، وما من شيء أحبُّ إلى الله من أن يُسأل، وما يدفع القضاء إلا الدعاء، وإنّ أسرعَ الخير ثواباً البرّ..**».

وحبّب عليه السلام إلى النفوس حُسن الخُلق والرِّفق، فقال: «**من أُعطي الخُلُق والرِّفق، فقد أُعطي الخير كلّه، والراحة، وحَسُنَ حالُه في دنياه وآخرته، ومن حُرم الرّفق والخُلُق كان ذلك له سبيلاً إلى كلّ شرّ وبَليّة، إلاّ مَن عَصَمَه الله تعالى**»..

كما حبّب الإمام الباقر عليه السلام إلى نفوس أصحابه الأدب وحُسن السيرة، فقال: «**ما استوى رجلان في حَسَبٍ ودين قطّ، إلاّ كان أفضلهما عند الله آدبهُما**».

وروى عليه السلام عن جدّه أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قوله: «**إنّ مِن أعون الأخلاق على الدِّين الزهدُ في الدنيا**».

وحثّ عليه السلام على أداء العبادات المندوبة لكي تتجذّر في النفوس وفي الإرادة، لأنها تساعد على إصلاح النفس وتزكيتِها، وبَيَّنَ ثوابَ مَن عمل بها، واستمرّ على أدائها في جميع الظروف والأحـوال. كما حثّ الإمـام على التمرّن على الأخـلاق الفاضلة والخصائص الحميدة، فقال عليه السلام: «**عليكم بالوَرَع والاجتهاد، وصدقِ الحديث، وأداءِ الأمانة إلى من ائتمنكم عليها، برّاً كان أو فاجراً..**».

* أستاذ في الحوزة العلميّة في قمّ المقدّسة

من وصايا الإمام الباقر عليه السلام

تنسيق: محمد العبد الله

رُويت عن حفيد النبوّة الإمام الباقر صلوات الله عليه وصايا كثيرة، وجَّه بعضها إلى أبنائه، وبعضها الآخر إلى أصحابه، وهي تزخر بآداب السلوك، وتفيض بالقِيَم العظيمة، والمُثل العُليا الكريمة.

تقدّم «شعائر» من هذه الوصايا الخالدة ما يلي:

من وصاياه لإبنه الإمام الصادق عليهما السلام

* «يا بُنَي، إنّ الله خبّأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء: خبّأ رضاه في طاعته، فلا تُحقِّرنَّ من الطاعة شيئاً فلعلّ رضاه فيه، وخبّأ سخطَه في معصيته، فلا تُحقِّرنَّ من المعصية شيئاً فلعلّ سخطَه فيه، وخبّأ أولياءه في خلقه، فلا تُحقِّرنَّ أحداً فلعلّه ذلك الوليّ».

* قال الإمام الصادق عليه السلام لسفيان الثوري: «**يا سفيان، أمرني أبي بثلاث، ونهاني عن ثلاث، فكان في ما قال لي: يا بُنَيّ، من يصحب صاحبَ السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخلَ السوء يُتَّهَم، ومن لا يملك لسانَه يندم، ثم أنشدني:**

عوّد لسانك قولَ الخير تَحْظَ به ... إن اللسان لِما عَوَّدْتَ يَعتادُ

موكَّلٌ بتقاضي ما سَنَنْتَ له ... في الخير والشرّ فانظر كيف تعتادُ».

وصيّته عليه السلام لعمر بن عبد العزيز

عندما وُلّي عمر بن عبد العزيز الخلافة، طلب من الإمام الباقر عليه السلام أن يعظَه، فقال: «يا أبا جعفر أوصِني»، فقال عليه السلام:

«أُوصيك بتقوى الله، وأنْ تتّخذَ صغيرَ المسلمين ولداً، وأوسطهم أخاً، وكبيرهم أباً، فارحم ولدَك، وصِلْ أخاك، وبرَّ أباك، وإذا صنعت معروفاً فرَبِّهِ».

فلما سمع عمر هذه الحكمة الجامعة بهر بها، وأعجب، وقال:

«جمعتَ والله ما إن أخذنا به، وأعاننا الله عليه، استقام لنا الخير إن شاء الله».

من وصيته عليه السلام لجابر الجُعفيّ

«أوصيك بخمس: إن ظُلِمتَ فلا تَظلِم، وإنْ خانوك فلا تَخُن، وإن كُذِبتَ [كُذِّبتَ] فلا تَغضب، وإن مُدِحتَ فلا تفرح، وإن ذُمِمْتَ فلا تجزع.

وفكّر فيما قيل فيك. فإنّ عرفتَ من نفسك ما قيل فيك، فسقوطُك من عين الله عزّ وجلّ عند غضبك من الحقّ، أعظمُ عليك مصيبةً ممّا خفتَ من سقوطك من أعينِ الناس. وإنْ كنتَ على خلاف ما قيل فيك، فثوابٌ اكتسبتَه من غير أن يَتعب بدنُك.

واعلَم بأنك لن تكون لنا وليّاً حتى لو اجتمع عليك أهلُ مِصرك وقالوا إنك رجل سوء لم يحزنْكَ ذلك، ولو قالوا إنك رجلٌ صالح لم يسرّك ذلك، ولكن اعرضْ نفْسَك على كتاب الله، فإنْ كنتَ سالكاً سبيلَه، زاهداً في تزهيده، راغباً في ترغيبه، خائفاً من تخويفه، فاثبت وأبْشِر، فإنّه لا يضرّك ما قيلَ فيك، وإن كنتَ مبايناً للقرآن، فماذا الذي يغرّك من نفسك؟

إنّ المؤمن معنيٌّ بمجاهدة نفسه لِيَغْلِبَها على هواها، فمرّة يُقيم أودَها ويُخالف هواها في محبّة

الله، ومرّة تصرعُه نفسُه فيتبعُ هواها فيُنعِشُه الله، فينتعش، ويُقيل الله عثرتَه فيتذكّر، ويفزع إلى التوبة والمخافة فيزداد بصيرةً ومعرفةً لما زيد فيه من الخوف، وذلك بأنّ الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ الأعراف:٢٠١. يا جابر! استكثِرْ لنفسك من الله قليلَ الرزق تخلّصاً إلى الشُّكر، واستقلِلْ من نفسك كثيرَ الطاعة لله إزراءً على النفس وتعرّضاً للعفو، وادفعْ عن نفسك حاضرَ الشرِّ بحاضرِ العِلم، واستعمِلْ حاضرَ العِلم بخالصِ العمل، وتحرَّزْ في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدّة التيقُّظ، واستجلِبْ شدّة التيقُّظِ بصِدق الخوف، واحْذَرْ خَفِيَّ التزيُّنِ [خَفِيَّ الزَّيْنِ] بحاضر الحياة، وتوق مجازفةِ الهوى بدلالة العقل، وقِفْ عند غَلَبَة الهوى باسترشاد العِلم، واستَبْقِ [واستَبِقْ] خالصَ الأعمال ليوم الجزاء، وانزلْ ساحةَ القناعة باتّقاء الحرص، وادفعْ عظيمَ الحرص بإيثار القناعة، واستجلِبْ حلاوةَ الزهادةِ بقصرِ الأمل، واقطعْ أسبابَ الطمعِ ببرد اليأس، وسُدَّ سبيلَ العُجب بمعرفة النفس، وتخلّصْ إلى راحة النفس بصحّةِ التفويض، واطلبْ راحةَ البدن بإجمام القلب، وتخلّصْ إلى إجمام القلب بقِلّةِ الخطأ، وتعرّضْ لرِقّة القلب بكَثرة الذِّكر في الخَلَوات، واستجلِبْ نورَ القلبِ بدوامِ الحُزن، وتحرَّزْ من إبليسَ بالخوف الصادق، وإيّاك والرجاءُ الكاذبُ فإنّه يُوقِعُك في الخوف الصادق، وتَزيَّن لله عزّ وجلّ بالصِدق في الأعمال، وتَحبّبْ إليه بتعجيل الانتقال، وإيّاك والتسويف، فإنّه بحرٌ يغرقُ فيه الهَلكى، وإيّاك والغَفلة، ففيها تكون قساوةُ القلب، وإيّاك والتواني فيما لا عذرَ لك فيه، فإليه يلجأ النادمون، واسترجِعْ سالفَ الذنوبِ بشدّة النَّدَم، وكثرةِ الاستغفار، وتعرّضْ للرحمة وعفوِ الله بحُسنِ المراجعة، واستعِنْ على حُسنِ المراجعة بخالصِ الدعاء، والمناجاةِ في الظُّلَم، وتخلّصْ إلى عظيمِ الشُّكرِ باستكثارِ قليلِ الرّزق، واستقلالِ كثيرِ الطاعة، واستجلِبْ زيادةَ النِّعَم بعظيمِ الشُّكر، والتوسُّل إلى عظيمِ الشُّكر بخوفِ زوالِ النِّعَم، واطلبْ بقاءَ العزِّ بإماتَةِ الطمع، وادفعْ ذُلَّ الطمعِ بعزِّ اليأس، واستجلِبْ عزَّ اليأس ببُعدِ الهمّة، وتزوّد من الدنيا بقصرِ الأمل، وبادر بانتهاز البُغْيَة عند إمكان الفُرصة، ولا إمكان كالأيام الخالية مع صحّة الأبدان، وإيّاك والثقة بغير المأمون، فإنّ للشرّ ضراوةً كضراوةِ الغِذاء، واعلم أنّه لا عِلمَ كطَلَبِ السلامة، ولا سلامةَ كَسَلامة القلب، ولا عقل كَمُخالفةِ الهَوى، ولا خوفَ كَخَوفٍ حاجزٍ، ولا رجاءَ كَرَجاءٍ مُعين، ولا فقرَ كَفَقْرِ القلب، ولا غِنى كَغِنى النَّفْس، ولا قوّةَ كَغَلَبَةِ الهَوى، ولا نورَ كَنورِ اليقين، ولا يقينَ كاسْتِصْغارِك للدّنيا، ولا معرفةَ كَمَعرفتِك بنفسك، ولا نعمةَ كالعافية، ولا عافيةَ كمُساعدة التوفيق، ولا شَرَفَ كبُعد الهمَّة، ولا زُهْدَ كَقصرِ الأمل، ولا حِرص كالمُنافسة في الدَّرَجات، ولا عدلَ كالإنصاف، ولا تعدّي كالجَوْر، ولا جَوْرَ كمُوافقةِ الهَوى، ولا طاعةَ كَأَداء الفرائض، ولا خوفَ كالحُزن، ولا مصيبةَ كَعَدَمِ العَقل، ولا عدمَ عقلٍ كَقِلّةِ اليقين، ولا قِلّةَ يقينٍ كَفَقْدِ الخَوف، ولا فَقْدَ خوفٍ كَقِلّةِ الحُزن على فقدِ الخَوف، ولا مصيبةَ كاستهانَتِك بالذّنْب، ورضاك بالحالة التي أنت عليها، ولا فضيلةَ كالجهاد، ولا جهادَ كَمُجاهدة الهَوى، ولا قوّةَ كَرَدِّ الغَضب، ولا مصيبةَ كَحُبِّ البقاء، ولا ذُلَّ كَذُلِّ الطَّمَع، وإيّاكَ والتفريطَ عندَ إمكانِ الفرصة، فإنّه مَيدانٌ يجرُّ لأَهلِه بالخُسران. يا جابر! إنّه مَن دخلَ قلبَه صافي دينِ الله أشغلَهُ عمّا سِواه. يا جابر! ما الدّنيا وما عسى أن تكون؟ هل هي إلا ثوبٌ لبستَه، أو لقمةٌ أكلتَها، أو مركبٌ ركبتَه، أو امرأةٌ أصبتَها؟ يا جابر! إنّ المؤمنين لم يَطْمَئنّوا إلى الدنيا لبَقاءٍ فيها، ولم يأمنوا قدومَ الآخرةِ عليهم، ولم يُصِمَّهُم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفِتنة، ولم يُعْمِهِم من نور الله ما رؤوا بأعينهم من الزِّينة، ففازوا بثوابِ الأحرار، إنّ أهل التقوى أيسرُ أهلِ الدنيا مَؤونةً وأكثرهم لك معونةً، إنْ نسيتَ ذكّروكَ، وإنْ ذَكَرْتَ أعانوك، قوّالين بحقّ الله، قوّامين بأمر الله».

الإخبار بما كان أو يكون

أسرة التحرير

في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله أبوابٌ بعنوان: «العِلم بحديث النفس»، و«الإخبار بما كان»، و«الإخبار بما يكون»، ويتضمّن الأخير إخباراتِه المستقبليّة صلى الله عليه وآله.

هذه الأبواب ـ بالعناوين نفسها ـ تَرِدُ في سِيرة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، إلا أنها ـ للأسف ـ أبوابٌ مُغَيّبة غالباً من سيرة المعصومين عليهم السلام. ما يلي بعضُ إخبارات الإمام الباقر عليه السلام بما وقع أو يقع في المستقبل.

إخباره عليه السلام عمّا في ضمائر الناس: عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «دخل ناسٌ على أبي عليه السلام، وقالوا: ما حدُّ الإمام؟ قال: حدُّه عظيم، إذا دخلتم عليه فوَقِّروه وعَظِّموه وآمنوا بما جاء به من شيء، وعليه أن يهديَكم، وفيه خِصلةٌ إذا دخلتم عليه لم يقدر أحدٌ أن يملأ عينه منه إجلالاً وهيبةً، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك كان، وكذلك يكون الإمام، قالوا: فيَعرفُ شيعتَه؟ قال: نعم، ساعةَ يراهم، قالوا: فنحن لك شيعة؟ قال: نعم، كُلُّكم، قالوا: أَخْبِرنا بعلامة ذلك، قال: أُخبركم بأسمائكم وأسماءِ آبائكم وقبائلِكم؟ قالوا: أَخبرنا، فأَخْبَرَهم، قالوا: صدقت.

قال: وأُخبرُكم عمّا أردتم أن تسألوا عنه في قوله تعالى: ﴿ ..كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾. نحن نعطي شيعتنا من نشاء من علمنا. ثم قال: يقنعُكم؟ قالوا: في دون هذا نقنع».

أُتِيتُ وحُدِّثت: ينقل عبد الله بن معاوية الجعفريّ قِصّته مع والي المدينة الذي بعث عبره برسالة تهديد إلى الإمام الباقر عليه السلام، فلم يأبه بها الإمام لأنّ الله أطلعَه على أنّ الوالي معزول قريباً.

يقول عبد الله بن معاوية: «... فلمّا دنوتُ منه تبسّم ضاحكاً فقال: بعث إليك هذا الطاغية ودعاك وقال: إلقَ عمَّيك فقل لهما كذا؟ قال عبد الله: أخبرني أبو جعفر بمَقالتِه [ما قاله الوالي] كأنّه كان حاضراً، ثم قال: يا ابنَ عم، قد كُفينا أمرَه بعد غد، فإنّه معزولٌ ومَنفيٌّ إلى بلاد مصر. واللهِ ما أنا بساحرٍ ولا كاهن، ولكنّي أُتيتُ وحُدِّثتُ.

قال عبد الله: فوالله ما أتى عليه اليوم الثاني حتى وَرَدَ عليه عزلُه ونفيُه إلى مصر، ووُلِّيَ المدينةَ غيرُه».

تحذيره عليه السلام لأبي بصير: حدّث أبو بصير [من أصحاب ورواة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام] فقال: «كنتُ أُقرئ امرأةً القرآن بالكوفة، فمازحتُها بشيء، فلما دخلتُ على أبي جعفر [الباقر عليه السلام] عاتبني وقال: مَن ارتكب الذنْبَ في الخَلأ لم يعبأ الله به، أيّ شيءٍ قلتَ للمرأة؟ فغطّيتُ وجهي حياءً، فقال أبو جعفر: لا تَعُد».

مُلكُ بني العبّاس: ويروي أبو بصير أيضاً كيف أخبر الإمام الباقر عليه السلام عن مُلك بني العباس قبل سنين من تَولّيهم السلطة فيقول: «كنتُ مع الباقر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله قاعداً حَدْثان [أوّلَ] ما مات عليُّ بن الحسين عليهما السلام إذ دخل الدوانيقيّ [منصور العباسيّ] وداود بن سليمان قبل أن أُفْضِيَ الملك إلى وُلْدِ العباس، وما قعدَ إلى الباقر إلا داود، فقال الباقر عليه السلام: ما منعَ الدوانيقيّ أن يأتي؟ قال [داود]: فيه جَفاء، قال الباقر عليه السلام: تذهبُ الأيام حتى يليَ أمرَ هذا الخلق، ويَطأَ أعناقَ الرجال، ويَملكَ شرقَها وغربَها بطول عمره فيها، حتى يجمعَ من كنوز الأموال ما لم يجتمع لأحدٍ قبلَه، فقام داود وأخبر الدوانيقيّ بذلك، فأقبل إليه الدوانيقيّ وقال: ما مَنعني من الجلوس إليك إلا إجلالُك، فما الذي خبّرني به داود؟ فقال عليه السلام: هو كائن، قال: ومُلكنا قبل مُلككم؟ قال: نعم، قال: يملك بعدي أحدٌ من وُلدي؟ قال: نعم، قال: فمُدّة بني أُميّة أكثر أم مُدّتنا؟ قال: مُدّتُكم أطول وَلَيتَلَقَّفَنَ هذا المُلك صِبيانُكم ويلعبون به كما يلعبون بالكرة، هذا ما عَهِدَه إليّ أبي، فلمّا مَلك الدوانيقيّ تعجّب من قول الباقر عليه السلام».

أمير الحج في كل عام

الشيخ حسين كوراني

(١)

ونحن نتجاذب أطراف الحديث، قال:

من هو أمير الحجّ، هذه السنة؟

قلت: أميرَ الحاجّ تقصد أم الحجّ؟

أما أمير الحاجّ فهو من تُحدّده سلطة موازين القوى والأمر الواقع، وحيث أنّ «السلطة» فعلاً بيد «أوباما» وأضرابه، ومركزُ قطبها «الأوحد»! خارج حدود دار الإسلام، فإنّ الحاجّ في سنتنا كغيرها بدون أمير، فمَن أراده الإنقلاب المعاصر على الأعقاب أميراً.. لا إمرةَ له، والأمير الحقيقيّ يرى تراثه نهباً.

وأما أمير الحجّ، أمير قافلة الوجود بإذن ربها، أمير الزمان والمكان والعقل والقلب والحياة، فهو مَن خلق الله تعالى كلّ ذلك لأجله، ولولاه لما كان آدمعليه السلام، ولا زَيدٌ في الوجود ولاعمرو!

أَوَليس الحجّ هو القصد؟ أَوَليس القصدُ حركةَ قلب؟ وهل يختلف القصد إلا باختلاف الإختيار، بل هل يتحدّد أو يتقوّم إلا به؟

وهل يُمكن الفصل بين منح الله تعالى الإختيار بأجلى صوَره للمخلوق الأكرم، وبين «جدوائيّة» هذا المشروع الإلهيّ المتقوّمة بالمصطفى الحبيب محمد وآل محمد صلّى الله عليه وعليهم.

أمير الحجّ محمد، وأمير العقل والقلب العقلُ المحمديّ، وقلبُه ونفسُه وروحُه، وسائرُ تجلّيات الحقيقة المحمديّة: «كلّنا محمد».

كائناً من كان أمير الحاجّ، وسواءً في عهد النبوّة وامتداده اليسير في عمر الزمن، أم في عهد الإنقلاب على الأعقاب، إصغِ إليه في صلاته المقبولة أو المُكاء والتصدية، ستجده يقول: «وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، أللّهمّ صلّ على محمد وآل محمد».

أمير الحجّ إذاً ـ حتى لأمير الحاجّ ـ هو المصطفى الحبيب، وهو صلى الله عليه وآله قد حدّد للأُمة مرجعَها من بعده وركنَها الذي تأوي إليه، وقائدها والإمام.. ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ..﴾ هود:٨٦.

ألا تُجمع الأُمة على الكثير من الثوابت ومنها ما أسّسه صلى الله عليه وآله بقوله: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض»؟!

إن الصلاة بدون الصلاة عليهم حجٌّ بلا أمير، بل حجٌّ مع يزيد، وتَنكُّرٌ للحسينعليه السلام في مكّة لتحْمِلَه الغربة إلى كربلاء، فكيف هو الحجّ بدون معرفتهم التي لا معنى لادّعائها بدون تنسّم أريجهم في كل مَنسك من مناسك الحجّ؟

(٢)

قال: لا شكّ في ذلك ولا ريب، ولكني أسأل عن أمير الحجّ في هذا العام وفي كلّ عام.

قلت: مهلاً أيها العزيز، دعنا نثبتْ ما تقدّم. أين نحن عن سيد النبيين صلى الله عليه وآله؟

هل تشي أقوالنا والأفعال بأننا الأمة الوسط؟

هل نستحضر حقاً أننا أمّةُ خير خلق الله تعالى وسيدِ رُسله؟

هل نحجّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله؟

أُلخِّص لك الأمر في خطّين عريضين:

١- ما هو مدى تجديد الحجيج العهدَ بالحبيب الذي أُمرنا بحبّه بما لا يقوى قلبٌ على تحمُّل أدنى إعراض عنه:

* ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ التوبة:٢٤.

* **«لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكون أحبّ إليه من نفْسه، وتكون عترتي أحبّ إليه من عترته».**

أليس بديهيّاً أن يبحث المُحبُّ عن منزل حبيبه؟ فهل نعرف بيت رسول الله ﷺ؟ هل نعرف أين وُلد؟ وأين كان يسكن في مكّة عند بدء نزول الوحي في حراء؟ وعندما نزلت سورة «المدّثر» و«المزّمل»؟ وأين كان ﷺ عندما أُمر أن يصدع بما يُؤمَر ويُعرض عن المشركين؟ أين هو «دار الأرقم»؟ وأين وُضعت الصخرة على بلال وهو ينادي: أحدٌ أحد! بل أين كانت شهادة أوّل شهيدين؛ ياسر وسُميّة، وأين دُفنا؟!

أين هو شِعب أبي طالب؟ وأين دار الندوة الذي شهد توثُّبَ المولى أبي طالب على عُتاة قريش، وتوثُّبَ المولى الحمزة دفاعاً عن الوحي والنبوّة!

وأين كان رسول الله يصلّي ومعه المولى أبو الحسن، حين قال عمّه الكافلُ لأعظم يتيم: «صِل جناح ابنِ عمّك»؟!!

أين وقف سيد الرُّسُل طه الرؤوف الرحيم، وهو يأمر نفْسَه المرتضى أن يزيل الأصنام عن ظهر الكعبة ليتمحّض الحجّ في التوحيد، ويتجلّى التوحيد بالحجّ ويتجوهر؟ أين تمّ دفن اللاّت والعُزّى وهُبَل؟ وما علاقةُ استحباب الدخول إلى الحَرم من «باب السلام» بمكان دفن هذه الأصنام؟!

من أين دخل المصطفى إلى مكّة يوم الفتح في الرابع من ذي الحجّة؟ من أيّ باب من أبواب الحرم هبّ الحرمُ لاستقباله؟ أين كان منزل المصطفى الحبيب الذي توالت إيذاءات أبي لهب وأم جميل له فيه، حتى نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ المسد:١؟ أين؟ أين؟ وألف أين، يلخّص جوابها سؤالٌ يقول: «لماذا نجد في المنطقة الصناعية بمكّة شارعاً باسم "أبي لهب"»؟!!!! ولا نكاد نهتدي إلى دار من ديار رسول الله وأبي طالب وعبد المطلب؟! وإنْ اهتدينا لا يُسمح لنا بالإقتراب!!

(٣)

لم يتمالك صاحبي أن يُخفي ذُعره، فتلفّت يُمنةً ويُسرةً، ولمّا لم يجد أحداً، قال: «ما عن هذا سألت، وإن كان هو الحجَّ المضيَّع، والقصدَ المُتنكَّب، ولكني سألت عن أمير الحجّ في هذا العام، وفي كلّ عام».

فقلت: «وتسألني عن زمزم.. هاك أدمُعي»!!!

أيّها العزيز، حاجّاً كنتَ بالروح أو الجسد، أو بالروح وحسب، لا سبيل إلى المحمديّة البيضاء إلا بحبّه ﷺ، ولا سبيل إلى حبّه إلا بحبّ أهل البيت عليهم السلام، وليس من المودّة في القربى أن يغفل القلب في «ديار الأحبّة» عن الوَلَهِ إلى من عرف موقعه الأثير عند سيد الخلق أجمعين.

وللحاجّ بالخصوص أقول: «عرِّج على مقابر قريش، وزُر المولى عبدَ المطّلب والمولى أبا طالب، وسيّدة أمّهات المؤمنين خديجة، وافتح في قلبك صفحة نورٍ عنوانُها: حبّ رسول الله ﷺ، وسطرُها الأول: حبُّ كافلِه، ولا تُضحك الشيطان عليك، يُقنعُك بأنّك إنْ كفلتَ يتيماً فأنت والرسول في الجنة، ولكنْ كافلُ الرّسول في ذلك «الضحضاح» المُفترى والمزعوم.

سلامة العقيدة أولاً، ولا سبيل إليها إلا بحُسن اتّباع الرسول، أي إبذِر بذرتها المعافاة لتنمو، وستُشرق في قلبك أنوار التوحيد لتكتشف بنفسك الفارق الجوهريّ الذي يفصل بين الإيمان والكفر.

عندها يبلغ القلب معقدَ الأمل في تقبّل العمل، فيؤدّي مناسكه، وهو حيث أراد له المصطفى الحبيب أن يكون، في خطّ طاعة الله تعالى والسير في مدارج رضاه عزّ وجلّ، مع أمير الحاجّ المؤتمّ بإمام زمانه».

***

٢-عندها يُصبح السؤال عن أمير الحاجّ أو أمير الحجّ سؤالاً عملياً لا يدخل في باب الإدّعاء المَقيت: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف:٣.

عندها فقط يُتاح التعرّف على شروط الإئتمام بالنجم الثاقب من أهل البيت الذي هو الأمير المحمديّ لقافلة الوجود بإذن الله تعالى، والذي لولاه لَذَهبت الأرض؟!

(٤)

بعد قرار العقل بإيداع حبّة القلب والمُهجة للأعتاب المحمديّة والعقل الأتمّ، وإثبات ذلك بالوفاء للمولى أبي طالب بالخصوص، يبقى على من يريد الوصول إلى إمام زمانه، أميرِ الحجّ والقلب والحياة، أن يُعنى بمَنسكين:

١ - حبّ الحسينعليه السلام:

فكما هو العَجب لا يكاد ينقضي من الغفلة المُطبقة عن الربط بين البيت وبين أهل البيت، كذلك هو العَجب لا ينقضي من الغفلة المطبقة على الكثيرين الكثيرين، عن الرّبط بين روح أيّ منسكٍ عباديّ وبين الحسين عليه السلام.

«كلّهم نورٌ واحد» إلا أنّ للإرتباط بالحسين عليه السلام شأناً خاصّاً في الوصول إلى رضوان الله تعالى في الصراط المحمديّ: «حسين مني وأنا من حسين»!

يُضاف إلى ذلك أنّ يوم التروية هو يوم خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة، ويوم شهادة القائدَين الكبيرين مسلم وهانىء، وهل يجتمع الوفاء لرسول الله صلى الله عليه وآله والمودّة في القربى إلا بمواكبة القلب الدائمة للخُطى المحمديّة في الطريق إلى محرّم وكربلاء؟ أللهمّ ارزقنا.

يوم التروية حسينيّ، وليلة عرفة ويومها حسينيّان، وليس وِردُ المؤمن في يوم عَرَفة إلا دعاءُ الحسين، في يوم ملوّنٍ بفردوس الدم الحسينيّ. أوَيُعقل مع ذلك كلّه أن لا يكون القلب حسينياً، ثمّ يدّعي البحث عن أمير الحجّ أو الحاجّ، وهو فرع حبّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢ - حملُ هَمِّ المسلمين:

ألم يقل المصطفى الحبيب، سيدُ الرُّسل صلى الله عليه وآله: «مَن أصبح لا يهتمُّ بأمور المسلمين فليس بمسلم»؟

لا ينفصل حملُ همِّ المسلمين إطلاقاً عن خفقة القلب مع مظلوميّة كلّ مظلوم مستضعَفٍ ولو لم يكن مسلماً، فالوقوف مع العدل وضدّ الظلم لا يتجزّأ. ما هو الحال في فلسطين؟ وماذا يجري ضدّ المسلمين كلّهم والبشريّة جمعاء في العراق؟

أي معاناة يتجرّع غصصَها أهلُنا في فلسطين والعراق وأفغانستان، وتعصف بهم أهوالها؟

ما هي أخبار هذا السيل العرم الذي ضرب منطقة كبيرة من الباكستان؟ وكيف هي حال هؤلاء المشرّدين؟ وألف كيف!!

(٥)

مَن أحبّ المصطفى صادقاً ـ والعلامةُ حبّ الحسين أكثر من حبّه لعترته، والعلامةُ حمل الهمّ مستسهلاً ما استوعره المُترفون ـ فهو أمير الحاجّ والحجّ، بل أميرُ الجَنة!

هذا القلب المحمديُّ الذي صاغت كلَّ شغافه المحمديّةُ البيضاء والعلويّةُ العُليا بإذن الله تعالى، سيجد بلا أدنى ارتياب أنه يقترب رويداً رويداً من خيمة المولى وصيِّ رسول الله الإمام المهديّ المنتظر، وإنْ لم يعرفها، بل ربّما وجد أنّ الإمام بكرَمه المحمديّ الإلهيّ قد بسط عليه غامر حنانه واللّطف، وخاطبَ قلبَه!

ورُبّما وُفِّق المؤمن للمزيد، فالله تعالى وأولياؤه عادتهم الإحسان إلى المُسيئين. منه تعالى ما يليق بكرَمه، ومنّي ومنك ما يليق بضعفنا والطِّين.

رُوي عن محمد بن عثمان العمريّ ـ رضي الله عنه ـ أنّه قال: «والله إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسمَ كلّ سنة يرى الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه».

ورُوي عن عبد الله بن جعفر الحميريّ أنه قال: «سألتُ محمد بن عثمان العمريّ ـ رضي الله عنه ـ فقلتُ له: رأيتَ صاحبَ هذا الأمر؟ فقال: نعم، وآخرُ عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: أللّهمّ أنجز لي ما وعدتني "..." ورأيتُه صلوات الله عليه متعلّقاً بأستار الكعبة في المُستَجار وهو يقول: أللّهمّ انتقم لي من أعدائك».

* ينبغي للحاجّ بشكل خاص، أن يعيش قلبُه مع وصيّ رسول الله صاحبِ العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف.

وفي رُبى عرفات، أصغرِ منطقةٍ جعرافيّاً، يجزم المؤمن بوجوده فيها مع إمام زمانه، بابِ الإتصال برسول الله وبالله تعالى.

وفي بعض المنقولات المُعتبرة نقلاً عنه عليه صلوات الرحمن أنه يزور خِيَمَ الحُجّاج، وأنّ للعزاء في عَرفة، ولِخصوص ذِكر عمّه أبي الفضل العباس عليه السلام، موقعاً خاصّاً لديه سلامُ الله تعالى عليه.

لا حجّ بدون معرفة الإمام، فهو باب حِطّةٍ المحمديّ، ومَن عرف إمام زمانه أمكَنَه أن يعرف الفرق بين أمير الحاجّ وبين أمير الحجّ.

من أدعية يوم المباهلة

أَورَدَ السيد ابن طاوس في «إقبال الأعمال» من أدعية يوم المباهلة، الدعاء المعروف بـ «دعاء البهاء» (أنظر باب «مراقبات» من هذا العدد)، كما أورد الشيخ الطوسي في «مصباح المُتهجّد» نفس الدعاء باختلافٍ يسير، إلا أنه أورد في آخره فقرات تختلف عمّا أورده السيد ابن طاوس عليهما الرحمة. وفي ما يلي آخرُ دعاء البهاء والفقرات التي بعده برواية الشيخ الطوسي:

أَللّهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ كَما أَمَرْتَنِي فَاسْتَجِبْ لِي كَما وَعَدْتَنِي، أَللّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِما أَنْتَ فِيهِ مِنَ الشَأنِ وَالجَبَروتِ، أَللّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِكُلِّ شَأْنٍ وَكُلِّ جَبَروتٍ، أَللّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِما تُجِيبُنِي بِهِ حِينَ أَسأَلُكَ يا الله، يا لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ، أَسأَلُكَ بِبَهاءِ لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ، يا لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ، أَسأَلُكَ بِجَلالِ لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ، يا لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ، أَسأَلُكَ بِلا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ، أَللّهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ كَما أَمَرْتَنِي فَاسْتَجِبْ لِي كَما وَعَدْتَنِي، أَللّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ مِنْ رِزْقِكَ بِأَعَمِّهِ وَكُلُّ رِزْقِكَ عامٌّ، أَللّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِرِزْقِكَ كُلِّهِ، أَللّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ مِنْ عَطائِكَ بِأَهْنَأِهِ وَكُلُّ عَطائِكَ هَنِيٌّ، أَللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِعَطائِكَ كُلِّهِ، أَللّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ مِنْ خَيْرِكَ بِأَعْجَلِهِ وَكُلُّ خَيْرِكَ عاجِلٌ، أَللّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِخَيْرِكَ كُلِّهِ، أَللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ بِأَفْضَلِهِ وَكُلُّ فَضْلِكَ فاضِلٌ، أَللّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِفَضْلِكَ كُلِّهِ.

أَللّهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ كَما أَمَرْتَنِي فَاسْتَجِبْ لِي كَما وَعَدْتَنِي، أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَابْعَثْنِي عَلى الإِيمانِ بِكَ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلامُ، وَالوِلايَةِ لِعَلِيّ بْنِ أَبِي طالِبٍ وَالبَراءَةِ مِنْ عَدُوِّهِ وَالائتِمامِ بِالأَئِمَّةِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُ بِذلِكَ يا رَبِّ، أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ فِي الأَوَّلِينَ، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ فِي الآخِرِينَ، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ فِي المَلأِ الأَعْلى، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ فِي المُرْسَلِينَ، أَللّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّداً الوَسِيلَةَ وَالشَّرَفَ وَالفَضِيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الكَبِيرَةَ، أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَقَنِّعْنِي بِما رَزَقْتَنِي، وَبارِكْ لِي فِيما أَعْطَيْتَنِي، وَاحْفَظْنِي فِي غَيْبَتِي وَفِي كُلِّ غائِبٍ هُوَ لِي، أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَابْعَثْنِي عَلى الإِيمانِ بِكَ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِكَ، أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَسأَلُكَ خَيْرَ الخَيْرِ رِضْوانَكَ وَالجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الشَّرِّ سَخَطِكَ وَالنّارِ، أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاحْفَظْنِي مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَمِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عُقُوبَةٍ وَمِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ بَلاءٍ وَمِنْ كُلِّ شَرٍّ، وَمِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَمِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ، وَمِنْ كُلِّ آفَةٍ نَزَلَتْ أَوْ تَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ إِلى الأَرْضِ فِي هذِهِ السَّاعَةِ، وَفِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وَفِي هذا اليَوْمِ وَفِي هذا الشَّهْرِ وَفِي هذِهِ السَّنَةِ.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاقْسِمْ لِي مِنْ كُلِّ سُرُورٍ وَمِنْ كُلِّ بَهْجَةٍ، وَمِنْ كُلِّ اسْتِقامَةٍ وَمِنْ كُلِّ فَرَجٍ، وَمِنْ كُلِّ عافِيَةٍ وَمِنْ كُلِّ سَلامَةٍ، وَمِنْ كُلِّ كَرامَةٍ وَمِنْ كُلِّ رِزْقٍ واسِعٍ حَلالٍ طَيِّبٍ، وَمِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ وَمِنْ كُلِّ سَعَةٍ نَزَلَتْ أَوْ تَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ إِلى الأَرْضِ فِي هذِهِ السَّاعَةِ، وَفِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وَفِي هذا اليَوْمِ وَفِي هذا الشَّهْرِ وَفِي هذِهِ السَّنَةِ، أَللّهُمَّ إِنْ كانَتْ ذُنُوبِي قَدْ أَخْلَقَتْ وَجْهِي عِنْدَكَ وَحالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَغَيَّرَتْ حالِي عِنْدَكَ، فَإِنِّي أَسأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي لا يُطْفَأُ، وَبِوَجْهِ مُحَمَّدٍ حَبِيبِكَ المُصْطَفى وَبِوَجْهِ وَلِيِّكَ عَلِيٍّ المُرْتَضى، وَبِحَقِّ أَوْلِيائِكَ الَّذِينَ انْتَجَبْتَهُمْ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ما مَضى مِنْ ذُنُوبِي، وَأَنْ تَعْصِمَنِي فِيما بَقِيَ مِنْ عُمْرِي، وَأَعُوذُ بِكَ اللّهُمَّ أَنْ أَعُودَ فِي شَيْءٍ مِنْ مَعاصِيكَ أَبَداً ما أَبْقَيْتَنِي، حَتّى تَتَوَفّانِي وَأَنا لَكَ مُطِيعٌ وَأَنْتَ عَنِّي راضٍ، وَأَنْ تَخْتِمَ لِي عَمَلِي بِأَحْسَنِهِ وَتَجْعَلَ لِي ثَوابَهُ الجَنَّةَ، وَأَنْ تَفْعَلَ بِي ما أَنْتَ أَهْلُهُ يا أَهْلَ التَّقْوى وَيا أَهْلَ المَغْفِرَةِ! صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ.

صلاة الخاشعين

هذه شَذَراتٌ روحانيّة من كلمات ولي أمر المسلمين الإمام الخامنئي دام ظلّه الشريف في لقاءاته مع الشباب حول الصلاة:

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ المؤمنون:١-٢.

يكفي المرء أن يتمعّن منذ البداية في معاني أذكار الصلاة ـ التي تعرفونها جميعاً ـ مع تركيز الحواسّ وعدم شرود الذهن خارج تلك المعاني، مثلما أنّ وجودكم ماثلٌ في ذهني طوال المدّة التي أتحدّث بها معكم، وهذا ليس بالشيء الكثير، ولا يُراد منا أكثر منه.

عندما يتحدّث أحدُكم مع صديقه أو مع شخص آخر، يلتفت إليه ويُصغي لكلامه ويفهم معناه!!

وفي الصلاة، يتحدّث المُصلّي مع ربّه..

وإذا بدأ أحدُكم الصلاة على هذا النحو، يشعر في أثنائها.. أنّ قلبه يستقي شيئاً ما مـــن مكانٍ مـــا...

ويُدرك أنّه يشعر بشعـــور معيّن إزاءَ كيانٍ مُعـــيّن...

وأنّ هنـــاك جهةً ما تُكلّمُه...

فيُصبـــح القـــلب أكثر شفافيّة، ويتســـلّم الجواب الذي ينبغي أن يحصل عليه...

وقد تكون هذه الحالة في بدايتها غامضة إلى حدٍّ ما، لكنّها أيسر عليكم منّا باعتباركم شباباً تفيض قلوبكم بالنور.

وأنتم قادرون على إدراك واستلهام الخطاب الإلهيّ أسرع وأوضح منّا...

فالباري تعالى يُكلّمُكم ويُجيبكم، وأنتم تستشعرون جوابه في قلوبكم...

الصلاة أولَ وقتها

يُعرَف عن الرئيس الإيراني الدكتور محمود أحمدي نجاد مبادرته إلى أداء الصلوات في أوّل وقتها، على الرغم من تزاحم مواعيده وكثرة ارتباطاته وأعماله.

وخلال زيارته لبلدة قانا، ثاني محطّاته العامليّة، كان لافتاً حرصه على أداء صلاتَي المغرب والعشاء في مسجد البلدة، قبل إلقاء كلمته المقرّرة سلفاً في الحشود المتلهّفة للقائه.

في الصورة يبدو الرئيس أحمدي نجاد يؤدي الصلاة في أول وقتها على جانب الطريق في إيران.

أُذكروا الله ذكراً كثيراً

إعداد: محمد العبد الله

ذكرُ الله تعالى تثبيتٌ للتوحيد، ولسائر أصول الدين، وتحصينٌ من الأخطار، سواءً جاءت من النفسِ العدوِّ الأَعدى، أم من العدوّ المُبين، أو من أوليائه من شياطين الإنس والجنّ.
تواصل «شعائر» تقديم ثبتٍ بالأذكار المُستحبّة، كما عرضه الفقيه الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء في كتابه الشهير «كشف الغطاء».

من الأذكار التي ورد الحثّ عليها في الروايات عن المعصومين عليهم السلام. بالإضافة إلى ما تقدّم في العدد الخامس ما يلي:

١- منها: الإكثار من التسبيحات الأربع [سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر] خصوصاً في الصباح والمساء، فإنّ التسبيح [سبحان الله] يملأ نصف الميزان، و(الحمد لله) يملأ الميزان، و(الله أكبر) يملأ ما بين السماء والأرض، وذُكر للتحميد [الحمد لله] أجرٌ عظيم. [عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا قال العبد الحمد لله، أنعمَ الله عليه بنعَم الدنيا موصولةً بنعَم الآخرة»].

٢- ومنها: التهليل [لا إله إلا الله] والتكبير [الله أكبر]، لأنّه ليس شيء أحبّ إلى الله تعالى من التهليل والتكبير، ويُكرَه أن يُقال: «الله أكبرُ من كلّ شيء»، بل يُقال: «الله أكبرُ من أن يُوصَف». والتهليل أفضل الأذكار كما نطقتْ به الأخبار، وفي بعضها: «أنّ الله تعالى قال لموسى عليه السلام: لو أنّ السماوات السبع وعامريهنّ عندي والأرضين السبع في كفّة، و(لا إله إلا الله) في كفّة، مالت بهنّ (لا إله إلا الله)». ويُستحبُّ رفع الصوت بها لتتناثر ذنوبُه كورَق الشجر.

٣- ومنها: قول (لا حولَ ولا قوّة إلا بالله) لأنّ من ألحّ فيها يُنفى عنه الفقر، ومن قالها ترتفع عنه الوسوسةُ والحزنُ، ومع إضافة (العليّ العظيم) يندفع عنه تسعون نوعاً من البلاء، أيسرُها الخَنَق.

٤- ومنها: أن يقول في كلّ يوم عشر مرّات: (أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إلهاً واحداً أحداً صمداً، لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً) ليَكتُبَ [الله تعالى] له خمساً وأربعين ألف حسنة، ويمحو عنه خمساً وأربعين ألف سيّئة، ويرفع له خمساً وأربعين ألف درجة، وليكونَنّ له حرزاً في نومه من الشيطان، والسلطان، وليَسلمَ من إحاطة كبيرة من الذنوب به، وليكونَ كمن قرأ القرآن في يومه اثنتي عشرة مرة، ويبني الله له بيتاً في الجنة.

٥- ومنها: أن يقول في كل يوم: (لا إله إلا الله حقّاً حقّاً، لا إله إلا الله عبوديّة ورقّاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً) يُقبِلَ الله عليه بوجهه، ولا يصرف وجهه عنه حتى يدخل الجنة. وفي رواية [يقول هذا الذكر] خمس عشرة مرّة.

٦- ومنها: أن يقول: (ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله) سبعين مرّة، ليُصرف عنه سبعون نوعاً من أنواع البلاء.

٧- ومنها: أن يقول: (اللّهمّ إني أشهدُك وأشهدُ ملائكتَك المُقرّبين، وحَمَلة عرشك المُصطفَين، أنّك أنت الله لا إله إلا أنت الرّحمان الرّحيم، وأنّ محمداً عبدُك ورسولُك، وأنّ فلاناً بن فلان [الحُجّة بن الحسن] إمامي ووَليّي، وأنّ آباءه.. رسولَ الله، وعليّاً والحسن والحسين وفلاناً وفلاناً [وعليّ بن الحسين، ومحمّدَ بن عليّ، حتى ينتهي إلى الإمام الحسن العسكريّ سلام الله عليهم أجمعين] أئمّتي وأوليائي، على ذلك أحيا وعليه أموت، وعليه أبعث يوم القيامة، وأبرأ من فلان وفلان)، فإذا مات ليلتَه يدخل الجنّة.

٨- ومنها: أن يقول في كل يوم مائة مرّة: (لا حول ولا قوّة إلا بالله) ليدفع الله عنه بها سبعين نوعاً من البلاء أيسرُها الهمّ.

٩- ومنها: وفي الرواية أنها سُنّة واجبة، أن يقول:

أ- عشراً قبل طلوع الشمس، وعشراً قبل غروبها: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كلّ شيءٍ قدير).

ب- وعشراً قبل طلوع الشمس، وعشراً قبل غروبها: (أعوذ بالله السميع العليم من هَمَزات الشياطين، وأعوذ بك ربّ أن يَحضرون، إنّ الله هو السميع العليم). وفي رواية: «وإذا نسيتَ قضيتَ»، ورُوي بطور آخر [مختلف عمّا ورد هنا، وفي تلك الرواية أنّ هذا الذكر] «واجبٌ ومفروض، ومَن نسي شيئاً منه، كان عليه القضاء».

١٠- ومنها: أن يُسبّح الله [سبحان الله] في كلّ يوم ثلاثين مرّة ليدفع عنه سبعين نوعاً من البلاء أدناها الفقر.

١١- ومنها: أن يقول في كلّ يوم سبع مرّات: (أسأل الله الجَنّة، وأعوذ به من النار) لتقول النار: «يا ربّاه أعذه مني».

١٢- ومنها: أن يقول ثلاثين مرّة: (لا إله إلّا الله الملك الحقّ المُبين) ليستقبل الغنى، ويستدبر الفقر، ويقرع باب الجنة.

١٣- ومنها: أن يقول مائة مرّة: (لا إله إلا الله الملك الحق المبين) ليُعيذَه الله من الفقر، ويُؤنسَ وحشتَه في القبر، ويستجلب الغنى، ويستقرِعَ باب الجنّة.

فقه الجغرافيا السياسيّة في الفكر الإسلامي*

الشيخ محمد مهدي الآصفي

لم يَطرأ جديد على مسألة «الجغرافيا السياسيّة» للعالَم في الفقه. والمعروف لدى الفقهاء هو التصنيف الثلاثي للعالم على المنهج التالي:

١ - دار الإسلام.

٢ - دار الحرب.

٣ - دار العهد.

وهذا التقسيم من الثوابت الفقهيّة، والخلاف بين الفقهاء في تعريف هذه الدُور، لا في أصل التقسيم الثلاثيّ.

وأساس هذا الاختلاف، هو الاختلاف في المعيار الذي يتخذّه الفقهاء لتصنيف العالَم، وهو أساسان:

أ- الأساس السياسيّ.

ب- الأساس الدَعَويّ.

الأساس السياسي

على الأساس الأول «السياسي» كلّ منطقة تخضع لسيادة الإسلام سياسيّاً وإداريّـاً، وتجري فيها الأحكام والحدود الشرعيّة، وتجري فيها الشعائر الإسلاميّة، هي دار الإسلام.

وأمّا دار الحرب أو دار الكُفر، فهي كلُّ منطقةٍ تخضع لسيادةِ الكفر، ويحكُمُها الكُفر، وإن كانت من قَبلُ داراً للإسلام، وذلك مثل فلسطين المحتلّة.

ودار العهد هي التي تخضع لسيادة الكُفر، إلا أنّ المسلمين يحترمون هذه السيادة نظراً للعهود والإتفاقيّات المُبرمة بينهم وبين الأنظمة الحاكمة على هذه المناطق. والفرق بين دار العهد ودار الكفر هو: أنّ سيادة دار العهد سيادة مُحترَمة، بخلاف سيادة دار الكُفر، فإنّها سيادة غير مُحترَمة.

هذا هو الأساس الأول للتقسيم الثلاثيّ للعالم، وهو الأساس السياسيّ.

يقول الشيخ محمد عبده في تعريف «دار الإسلام» ـ كما ورد في تفسير «المنار» ـ : «كلّ ما دخل من البلاد في محيط سلطان الإسـلام، ونفذت فيها أحكامُه وأُقيمت، صار من دار الإسلام، وَوَجَبَ على المسلمين عند الإعتداء عليه أن يدافعوا عنه وجوباً عينيّاً، وكانوا كلّهم آثمين بتركه.

وإنّ استيلاء الأجانب عليه لا يرفع عنهم وجوب القتال لاسترداده وإنْ طال الزمان. فعلى هذا الرأي يجب على مسلمي الأرض إزالةُ سلطان جميع الدول المُستعمِرة لشيءٍ من الممالك الإسلاميّة، وإرجاعُ حُكم الإسلام إليها، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وعجزُهم الآن عن ذلك لا يُسقط عنهم وجوبَ توطينِ أنفسهم عليه، وإعدادِ ما يُمكن من النظام والعُدَّة له، وانتظارِ الفُرص للوثوبِ والعمل».

وهذا الرأي يوافق القاعدة التي وضعها أحدُ وزراء الإنكليز؛ للتنازع بين المسلمين والنصارى في الغُلب والسلطان، وهي: «ما أَخَذَ الصليبُ من الهلال لا يجوز أن يُرجع إلى الهلال، وما أخذ الهلال من الصليب يجب أن يعود إلى الصليب»؛ «وعلى هذا يجري اليهود الذين يطالبون بإعادة مُلك "إسرائيل" إلى بلاد فلسطين. بل هم لا يكتفون بإعادةٍ لمُلك، بل يطالبون جعل الملك (بكسر الميم) وسيلةً له. فهم يحاولون سلبَ رَقبة الأرض من أهلها العرب بمساعدة الإنجليز». (رشيد رضا، تفسير المنار، ج١، ص ٣١٦).

الأساس الدَعَوي

والأساس الثاني لتقسيم العالم في الفقه، هو الأساس الدَعَوي. وعلى هذا الأساس فإنّ كلّ بلد امتدّت إليه الدعوة، وأصبح الناس فيها بحجم كبير ـ ولو لم يكن بحجم الأكثريّة ـ يمارسون فيها شعائرَ دينهم، فهو «دار الإسلام»، بشرط ألا تكون الدعوة مُستَهْلَكَة؛ كإنكلترا، أو فرنسا، وأميركا، وكندا. فإنَّ الدعوة قد امتدّت إلى هذه البلاد من دون شكّ، ولكنّها غير بارزة فيها، أو مستَهلكة بين سائر الدعوات والاتّجاهات ذات السيادة أو غير ذات السيادة في هذه الأقطار. والبلادُ التي لم تمتدّ إليها الدّعوة، أو لا يكون لامتداد الدّعوة إليها بروز وضوح، فهي من دار الكفر.

أمّا دار العهد فهي البلاد التي لم تمتدّ إليها الدّعوة، ولكنها قد دخلت معنا في عهود واتّفاقات متبادلة في حُرمة السيادة من الطرفين، وفي التفاهم والتعاون.

المقارنة بين التقسيمَين

وللإختلاف بين هذين التقسيمَيْن مصاديق كثيرة. فعلى التقسيم الأول لا تدخل فلسطين المحتلّة في دار الإسلام؛ لأنّ "إسرائيل" هي صاحبة النفوذ السياسيّ والإداريّ فيها. بل إنّ جميع البلدان التي لا تخضع لسيادة الإسلام لا تُعتبر من دار الإسلام، حتّى لو لم تُمارس فيها الكيانات السياسيّة الكافرة نفوذاً مباشراً مثل تركيا العلمانيّة، والأقاليم الإسلاميّة في يوغوسلافيا السابقة، وبلغاريا، ودول آسيا الوسطى مثل أوزبكستان، وطاجيكستان وآذربيجان، حيث تقطُنُها أكثريّة مسلمة لكنّها غير خاضعة لسلطان الإسلام. والأمثلة على ذلك كثيرة في الخريطة السياسيّة للعالم الحديث. غير أنّ هذه الدّول المذكورة ـ بناءً على الأساس الثاني الدَعَوي ـ تدخل في دار الإسلام بلا تردّد.

والإشكاليّة التي يواجهُها التقسيم الثلاثي الأول هي أنّ هذه البلاد التي لا يشملها تعريف «دار الإسلام» لا تدخل في تعريف «دار الكفر» أيضاً في الغالب. فإنّ «دار الكفر» هي التي يحكمها الكافر مثل فلسطين المحتلّة، وأما البلاد التي لا يحكمها الكافر مباشرة مثل تركيا، وكثير من البلاد الإسلاميّة، فهي خارجة عن تعريف «دار الإسلام» و«دار الكفر» معاً.

ليس هذا التعريف تعريفاً نظريّاً مَحضاً في الفقه، باعتبار أنّ الفقهاء ذكروا أحكاماً فقهيّة لهذه الدُور، والاختلاف في تفسير «الدُور» يؤدّي إلى اختلافٍ في هذه الأحكام أيضاً، ونذكر نماذج من هذه الأحكام:

١ ـ أحكام اللّحُوم والجُلود: فإنّ اللّحوم والجلود الموجودة في أسواق دار الإسلام يصحّ أكلها واستعمالها كما في روايـة إسحاق بن عمّار المعروفة.

٢ ـ أحكام الإلتقاط: الطفل اللقيط في بلاد المسلمين يُحكَم عليه بالإسلام، من حيث أحكام الإسلام، وليس كذلك لقيطُ بلاد الكفر.

٣ ـ أحكام الهجرة: يذهب الفقهاء إلى القول بوجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام لو تعذّرت عليه إقامة الشعائر الإسلاميّة في بلاد الكفر.

٤ ـ الدفاع: يجب الدفاع عن دار الإسلام إذا تعرّض لهجوم من قِبل الكفّار.

أما خيارنا في هذه المسألة فهو اتّخاذ الأساس الثاني؛ أي أساس الدّعوة في رسم الخريطة السياسيّة للعالم، بالنظر إلى الأحكام المتقدّمة وغيرها. فليس من الصحيح أن نجعل العمل السياسيّ أساساً لتصنيف العالم بالنظر إلى الأحكام المتقدّمة. ففي مسألة اللحوم والجلود، لا إشكال في أن يكون لها علاقة بوجود كثرة عدديّة مُسلِمة في البلد، وليس لها علاقة بمسألة السيادة السياسيّة.

وكذلك الأمر في مسألة الإلتقاط، فإنّها ذات علاقة بوجود كثرة عدديّة مسلمة في البلد، ولا علاقة لها بالمسألة السياسيّة. فإذا عَثَرنا مثلاً على طفل صغير في القدس لا نحكم بكُفره، رغم أنّ القدس خاضعة لنفوذ "إسرائيل" العدواني.

وهكذا في مسألة الهجرة. وقد أرجع صاحب

الجواهر رحمه الله ملاك وجوب الهجرة إلى دار الإسلام إلى غَلَبة الكفر على هذه البلاد، لا إلى السيادة السياسيّة للكافر.

وكذلك الدفاع، فإنه واجبٌ عن دار الإسلام. وقد وَرَدَ في النصوص الإسلاميّة بعنوان الدفاع عن بيضة الإسلام، ولا علاقة لهذه المسألة أيضاً بالمسألة السياسيّة، فلو تعرّضتْ الجزائر، أو المغرب، أو تونس لغزو دولة كافرة، فقد وجب على المسلمين الدفاع عنها بلا كلام، رغم أنّ هذه البلاد وأمثالها من بلاد المسلمين لا تخضع للنفوذ السياسي الإسلامي، بالمعنى الدقيق الشرعي لهذه الكلمة.

ورغم أنّنا اخترنا الأساس الثاني، أي الدعوة، لِرَسم الخريطة السياسيّة في العالم، من دون الأساس الأول السياسي، وذكرنا أنّ لهذا الإختيار مُبرِّرات وأسباباً فقهيّة لا يُمكن تجاوزها، رغم ذلك، نجد في الشريعة أحكاماً تخصّ التقسيم الثلاثي للعالم على الأساس الأوّل؛ أي العامل السياسي، ومنها:

١ - المرابَطة: وهي الإرصاد لِحفظِ ثغور الإسلام من ناحية الإعداء. والمُرابَطةُ من أحكام النفوذ السياسيّ في الإسلام، وهي غير القتال، ومهمّة المرابِط تختلف عن مهمّة المقاتل. يقول صاحب الجواهر رضوان الله عليه في تعريف «الثَغر»: «هو الحدّ المُشترَك بين دار الشِرك ودار الإسلام كما في "التنقيح"، أو كلُّ مَوضع يُخاف منه كما في "جامع المقاصد"، أو هما معاً كما في "المسالك".

قال: الثغر هنا الموضعُ الذي يكون بأطراف بلاد الإسلام، بحيث يُخاف هجوم المشركين منه على بلاد الإسلام، وكلّ موضع يُخاف منه يُقال له ثغر لغةً».

٢ - الإستئمان: ونقصد به أن يطلب الكافرُ الأمانَ والجوارَ من المسلم لدخول دار الإسلام. ويجوز لإمام المسلمين أن يُعطي أماناً للكافر على نفسه، وماله، وأهله لدخول البلاد، سواءً كان بلدُه في حالة حرب المسلمين أم لا، فيدخل الكافر دارَ الإسلام في ذمّة المسلمين. والأساس في ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ..﴾ التوبة:٦. ولا شكّ في أنّ الإستئمان من أحكام دار الإسلام بناءً على التقسيم الأول (السياسي لا الدَعَوي).

وعليه، فإنّنا نذهب إلى القول بوجود أساسَين لرسم الخريطة الجغرافيّة السياسيّة للعالم في الفقه.

الأساس الأول: هو الأساس السياسي بمعنى النفوذ السياسي للإسلام أو الكفر، وهو أساسٌ لأحكامٍ مثل المرابَطة والإستئمان.

الأساس الثاني: هو الأساس الدَعَوي، وهو الأكثر والأوسع استخداماً في الفقه الإسلامي.

دار العهد

لا بدّ في الختام، من وقفة عند (دار العهد)، وهي الدار التي يحكمها الكافر ويمارس فيها نفوذه السياسيّ والإداريّ، ولكنّنا نحترم هذه السيادة، رغم كونها للكافر، وذلك عملاً بالعهد الذي التزم به إمام المسلمين بناءً على ضرورةٍ أو مصلحةٍ تُوجب ذلك.

ولا إشكال في أنّ الإسلام يأمرنا بالوفاء بالعقود والاتفاقيّات. يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ..﴾ المائدة:١، وينهانا الله تعالى عن الغَدر والحنث، فقد رُوي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يجيء كلّ غادرٍ يوم القيامة بإمام مائلاً شدقُه، حتّى يدخل النار».

وليس من شرط العهد، أن يتّفق في حرب فقط، فقد تدخل الدولة الإسلاميّة بإذن إمام المسلمين في عقود واتفاقيّات، وعهود دوليّة سياسيّة، واقتصاديّة، وعسكريّة، وثقافيّة مع دول أخرى في العالم، ولا إشكال في شرعيّة هذه العقود؛ لإنها جرت بأمرٍ وإذنٍ من قِبل إمام المسلمين، طبقاً لمصلحةٍ أو ضرورةٍ تقتضيها.

وفي هذه الحالة، يجب على المسلمين احترام هذه العقود والالتزام بها، ويحرُم نقضُها ما لم يبدأ الطرف الآخر بنقضها. ومن متطلّبات احترام هذه العقود والعهود، احترام سيادة الأنظمة السياسيّة التي تعاقدت معها الدولة الإسلاميّة، ويجري تبادل الهيئات الدبلوماسيّة معها على أساسٍ من هذه الاتفاقيّات والعقود الدوليّة.

*مُقتطف من حوار مطوّل أجرته (الحياة الطيّبة) مع سماحة الشيخ الآصفي.

من أسرار الحجّ
عند صدر المتألّهين الشيرازي

الشيخ علي جابر*

يُبدي العرفاء وأصحاب القلوب اهتماماً خاصاً بالعبادات باعتبارها سبيل القُرب من الله ﷻ وسبباً لرضوانه. وإذا كان العابد هو المُكثِر للعبادة والمُجهِد نفسَه فيها، فالعارف هو من قَرَن العبادة بالفكرة فكانت عن تبصُّر وفَهم، طلباً لحقائقها، مقدّمة للتحقّق بها. ﴿..إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الزمر:٩، وعن الامام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: «تفكُّرُ ساعة خيرٌ من عبادة سنة».

وإذا سلك المؤمن في درب التفكّر متدبّراً في شريعة الله تعالى، وما أمر فيها من الفرائض، ونهى فيها عن النواهي، وقف على شيءٍ من حقائق العبادات التي تتجاوز أوضاعَها الظاهرة، وعرف بواطنَها التي هي الحكمة الإلهيّة التي تَعبَّد المولى تعالى الناس لأجلها، وهو ما يُعرف بأسرار العبادات وآدابها الباطنيّة.

ينظر العارف إلى العبادة من وجهين: وجهٍ ظاهرٍ يُعرف من نزول الشريعة وأحكامها التي أمرنا المولى بها، ووجهٍ باطنٍ هو الحقيقة والمعنى، ولا يعرف ذلك إلا الراسخون في العلم ومن سلك مسلكَهم، واقتبس من نورهم، وهو المُسمّى في القرآن بالتأويل. قال تعالى: ﴿..وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ آل عمران:٧. وقد سلك صدر المتألّهين الشيرازي المعروف بـ «الملا صدرا» هذا المسلك العرفانيّ بصورة خاصّة، أي مسلك تأويل الشريعة، محافظاً على ظواهرها، ظاعناً نحو بواطنها، مؤكّداً بذلك على ثنائيّة الظاهر والباطن، وضرورة الجمع بينهما، في حِكمتِه المُتعالية ومسلكِه العِرفاني. ومن منظور العارف أيضاً يعتقد الشيرازيّ أن هناك تطابقاً وتناظراً بين ثلاثة أعيان في الوجود هي: العالم والإنسان والقرآن. فكلّ ما في نظام العالم له نظيرٌ في الإنسان يطابقه، وهما معاً يطابقان القرآن. فالعالَم إنسان كبير، والإنسان عالَم صغير، كما أنّهما كتابٌ آفاقيّ وأنفسيّ. ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت: ٥٣، ويطابقان الكتاب ـ أي القرآن ـ الذي فيه تفصيلُ كلّ شيء.

ما تقدّم يشكّل، باختصار، مقدّمةً ضروريّةً لِفهم تأويل الشيرازي للعبادات ووُقوفِه على أسرارها. ومن أعماله المهمّة في هذا السياق شرحُه لحديث العقل والجهل شرحاً مطوّلاً في كتابه «شرح أصول الكافي». (أنظر: الطبعة الحجريّة، طهران، مكتبة المحمودي، ص٣٩٩).

وهذا الحديث لَقِيَ اهتماماً خاصّاً من العرفاء أمثال الإمام الخميني المقدّس الذي كتب شرحاً وافياً له بعنوان «جنود العقل والجهل». وسببُ هذا الإهتمام هو غِنى هذا الحديث بالمعاني الحكميّة والعرفانيّة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام (..َ والحجُّ: وضِدُّه نبذُ الميثاق..). والحجُّ في اللّغة هو القصد إلى أيّ شيء، وفي الشرع هو قصدٌ معيّن له شروط معلومة. وأمّا صِلة الحجّ بالعقل والجهل، فيرى الشيرازي أنّ من أخلاق العقل الوفاء بالعهد والميثاق، لا سيّما عهده تعالى وميثاقه الذي واثقه، ومن عادة الجهل نسيان العهد ونبذ الميثاق وترك الوفاء، ومن هذا العهد والميثاق الحجُّ إلى بيت الله الحرام، وزيارة الحبيب الأوّل، والدخول في حريم كَعْبتِه، وطوافُ بيتِه والسّعي لمرضاته. وعندما يتدبّر الشيرازي في قوله تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ۖ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى..﴾ البقرة: ١٢٥، يرى أنّ البيت هو القلب، وقد سُمّي قلباً لِتقلُّبِه بين وجهة الحق تعالى لاستفاضة النور منه، ووجهة العالم الحيوانيّ ليفيض على النفس الحيوانيّة. والقلب في الحقيقة هو النفس التي لها مقامات متعدّدة، ولها في كلّ مقامٍ اسمٌ خاص:

ففي مقام هذا التقلّب تُسمّى قلباً. ووفق منطق المُطابقة الذي أشرنا إليه، يعقد الشيرازيُ مناظرة بين القلب والكعبة. فكلاهما بيت الله تعالى، وفي الخبر: «أوحى الله لداود: يا داود فرّغ لي بيتاً أسكن فيه، فقال: وكيف يا ربّ؟ قال: فرّغ لي قلبك».

وجاء في الحديث القدسيّ أيضاً: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن».

وَوِفق ما تقدّم، فقد جعل المولى تعالى القلب المعنويّ للإنسان مثابةً يقصده ويرجع إليه زوّارُه الطالبون للحقّ سبحانه وتعالى، كما يـزورون ويرجعون إلى الكعبة في الظاهر. وكما أنّ الكعبة والحَرَم في مأمنٍ وأمانٍ للناس، كذلك القلب إذا تزيّن بالعلم والمعارف، وصار معموراً بذِكره تعالى، فإنّه في مأمنٍ من إبليس وجنودِه. وإذا صار القلب إحدى خزائن الله تعالى، حرسَها بحراستِه، ومنع لصوص الشياطين من التعرّض لها، فإنّهم يجولون في الصدور كما يجول اللّصوص في الشوارع والساحات، لأنّ الصدر وجه البدن وممّا يليه، فهو من جنبة الظاهر، ولذا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ الناس: ٥-٦. ثمّ يتوجّه الشيرازيّ إلى قوله تعالى ﴿مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى..﴾البقرة: ١٢٥، فيرى أنّ المعنى أنّكم إذا وصلتم الى كعبة القلب، فاتّخذوا من مقام إبراهيم ـ وهو مقام الخلّة والمحبّة ـ معبداً لكم ومقاماً، فيكون كلّ القَصد والتوجّه إليه تعالى لا إلى سواه. ويلزمُ حينئذٍ اتّباع ملّة إبراهيم ﴿..فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ..﴾ آل عمران: ٩٥. وقد كانت ملّتُه وطريقته الهجرة إليه تعالى استفاضةً لنوره ﴿..إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ الصافات: ٩٩.

ويقف الشيرازي باهتمام متبصّراً في قوله تعالى ﴿.. وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ البقرة: ١٢٥، فقد جعل سبحانه تطهير البيت لزُوّاره والقاصدين إليه عهداً في عُنُقَيهما، وقد شرّفه وأكرمه بكرامة خاصّة عندما أضافه إلى نفسه تعالى فقال: ﴿..طَهِّرَا بَيۡتِيَ..﴾، وهكذا القلب. فالمطابقة والتناظر بين القلب الإنساني والكعبة المُشرّفة يقتضيان عند الشيرازيّ ملاحظة خصوصيّات وكرامات كلٍّ منهما، ثم يعدّد كرامات وخصوصيّات الكعبة عشرين كرامة، تُطابقُها صفات القلب الإنسانيّ، ونشير إلى أبرزها بإيجاز:

١- أنّ الكعبة هي أوّل بيتٍ وُضع للناس بالموضع المعروف ببَكّة، وهو أفضل المواضع في الأرض، خَلَقَه الله تعالى قبل خَلْق الأرض، ودحى الأرض من تحته، وهو قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا..﴾ آل عمران: ٩٦. وبالنظر إلى القلب فإنّه أوّل موضع خُلِق في أرض البدن وتعلّقتْ به الرُوح، وهو أوّل ما يتكوّن من الأعضاء وآخر ما يسكن ويموت، وهو المبارك لِما يفيض عليه الحقُّ من الأنوار.

٢- أنّ الكعبة قد وضعها المولى لهداية الناس ﴿..هُدًى لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، والقلبُ المعنويّ.. مَن عَرَفَهُ فقد عرفَ ربَّه، لأنّه هو النفْس، والحديث يقول: «مَن عَرَف نفْسَه فقد عرف ربَّه».

٣- والكعبة هي الحَـرم الآمـن ﴿..وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا..﴾آل عمران:٩٧، وقال تعالى: ﴿..حَرَمًا ءَامِنًا..﴾القصص:٥٧، والقلب محلّ آيات العلم والعرفان والحكم والحقائق، فمَن دخله من السالكين كان آمناً من الغِواية، وأحاديثِ النفْس، والخَيالات وغيرها.

٤- والكعبة قبلة الحبيب المصطفى صلّى الله عليه وآله، وقبلة أُمّته خير الأُمم ﴿..فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةً تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ..﴾ البقرة: ١٤٤، وقد جعل تعالى القلب قبلة البدن وقواه، يتوجّه إليه الجميع، ويأخذ منه قِسطَه من الحياة والحسّ والحركة.

٥- لقد أمر المولى تعالى بتطهير الكعبة من أرجاس الوثنيّة والشرك والنجاسات والقاذورات ﴿..إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا..﴾ التوبة:٢٨، وقال تعالى: ﴿.. وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ..﴾ البقرة: ١٢٥، وكذلك أمر المولى تعالى الروح والعقل بتطهير بيت القلب من أدناس التعلّقات، وأرجاس الشهوات والسيّئات، وأوزار ملاحظة الأغيار، وَهُم كلُّ ما سواه سبحانه وتعالى.

* أستاذ في الحوزة العلميّة – لبنان

الفقيه العارف
آية الله السيد عبد الكريم الرّضوي الكشميري *

إعداد: طالب صلاح

*** مِصداقُ وصف أمير المؤمنين عليه السلام لشِيعته: «شيعتي والله الحكماء، العلماءُ بالله ودِينه، العاملون بطاعته وأمره، المُهتدون بحبّه، أنضاءُ عبادة، أحلاسُ زهادة..».**
*** كانت عبادته الدائمة المُضنية مضرب المثل لدى بعض كبار العارفين!.. قال له السيد الخوئي: «إنّ "كفاية الأصول" معجونة في دمك» ومنحه إجازة اجتهادٍ خطيّة.**

هو آية الله السيد عبد الكريم بن السيد محمد علي بن آية الله السيد حسن الرّضوي الكشميري من مراجع التقليد في كربلاء. أمّا جدّه لأُمّه فهو آية الله السيد محمد كاظم اليزدي صاحب الرسالة العمليّة الذائعة الصيت «العروة الوثقى»، والتي باتت محوراً لعشرات من التعاليق والحواشي الاستدلاليّة. ويُنقل عن آية الله بهجت قدّس سرّه ما يدلّ على عظيم منزلته وكرامته عند الله تعالى.

وُلد السيد عبد الكريم الرّضوي الكشميري في النجف الأشرف سنة ١٣٤٤هـ، وتتّصل شجرة نسبه الشريف ـ كما أمضاها آية الله المرعشي النجفي ـ بالسيّد موسى المبرقع (المدفون في قم) بن الإمام الجواد عليه السلام، ويتصل نسبه بالإمام الرضا عليه السلام بست وعشرين واسطة، وفق تحقيق السيد المرعشي.

الأُسرة

يقول السيد عبد الكريم إنّ أصل أُسرته من قم المقدّسة، لكنّ جدّه الرابع عشر السيد حسين الرضوي القمّي هاجر إلى الهند، وكان صاحب كرامات، وله في كشمير مزارٌ معروف في منطقة «سفيلم بوره».

هاجر آية الله السيد محمد حسن الرضوي الكشميري [جدّ المترجم له]، مع والده السيد عبد الله الرضوي، من موطنه الأصلي كشمير إلى كربلاء وهو في السابعة من عمره، واشتغل بطلب العلوم الدينيّة إلى أن بلغ درجة الاجتهاد فأقبل أهالي كربلاء والهند على تقليده في أواخر حياته، وكان معدوداً من الأتقياء والعلماء، وتخرّج على يديه ثلّة من العلماء كالشيخ عبد الكريم الحائري مؤسّس الحوزة العلميّة في قم.

الفقيه العارف آية الله الكشميري

ينقل السيد عبد الكريم الكشميري عن العارف السيد علي القاضي أنّه كان يمتدح جدّه السيد حسن كثيراً، وينقل عن جدّه لأمّة السيد اليزدي أنّه كان إذا اشتدّ به المرض يقول: «آتوني بثياب السيد حسن الكشميري لأرتديها وأشفى من مرضي».

ويُنقل عن المقدّس الشيخ بهجت أنّه شاهد السيد حسن الكشميري والميرزا محمد تقي الشيرازي "..." وكان يُثني على زهدهما وتواضعهما.

وكان والده السيد محمد علي من خيرة الصُلحاء

والعُبّاد، وكان الناس يقصدونه لأجل الإستشفاء بتربة حسينيّة عنده أُخذت من القبر الشريف قبل ثلاثماية عام من ذلك التاريخ، كما كان رحمه الله مواظباً على جملة أدعية، منها دعاء يستشير، ودعاء الإحتجاب للأمير عليه السلام، ويوصي ولده السيد عبد الكريم بالمواظبة عليهما، ودعاءَ كميل. كذلك كان صديقاً حميماً للشيخ عبد الكريم الحائري، فلمّا وُلد آخر أبنائه سمّاه عبد الكريم.

الجَذْبَة والدّراسة والتدريس

يقول السيد عبد الكريم رضوان الله عليه: «كنت طفلاً في السابعة أو الثامنة من عمري ألعب مع أطفال آخرين في زقاق قريب من مدرسة جدّي السيد محمد كاظم اليزدي، إذ مرّ شيخ طاعن في السنّ، وأشار إليّ أنْ: أُدنُ منّي، فذهبتُ إليه، فقال لي: إن في رأسك نوراً، فلا تلعب مع الأطفال، فأنت لا تصلُح للّعب».

ولم يكن هذا الشيخ غير آية الله العارف مرتضى الطالقاني، والذي شاءت العناية الإلهية أن يكون السيد الكشميري تحت رعايته وإشرافه.

وبتشجيع من والده، دخل السيد عبد الكريم سلك الحوزة العلميّة، وارتدى زيّ طَلَبة العلوم الدينيّة قبل أن ينبت عارضاه، ولازم العارفَ الطالقاني حتى وفاة الأخير بعد عشر سنوات، أقام خلالها في إحدى غُرف مدرسة جدّه اليزدي إلى جانب غرفة العارف الطالقاني الذي أرسى خلال السنوات العشر هذه أُسُس العلم والعرفان بشكل مُحكَم في شخصيّة تلميذه.

يقول السيد عبد الكريم عن علاقته بالعُرَفاء والعُبّاد: «لقد كان الجميع في سنّ الفتوّة والشباب يرافقون من هم في أعمارهم، ولكنّي كنت أعاشر الشيوخ المتقدّمين في السنّ، وأطلب برنامجاً للسلوك من أي أستاذ أجده من أساتذة السلوك».

ولقد أُتيح له رضوان الله عليه أن ينهل من مَعين أعلام أساتذة الأخلاق، وفي مقدّمهم العارف السيد هاشم الحدّاد الذي منحه «إجازة الأذكـار» وهي إجازة بتعليم ذِكر أو أذكارٍ بعينها لمن يرى فيهم المجاز له أهليّة تعلّمها، وتضمن هذه الإجازة أيضاً اتصال سند الذكر المخصوص بمصادره الأصلية، أي رسول الله وآل بيته الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين.

وتتّصل سلسلة أساتذة السيد الكشميري في الأخلاق بالشيخ محمد البيد آبادي «العارف بلا تعيين ومرجع أرباب اليقين»، وفق تعبير السيد أحمد الكربلائي أستاذ السيد علي القاضي.

وفي مجال العلوم الحوزويّة، درس المقدّمات عند والده والشيخ الطالقاني، ثمّ درس السطوح عند الشيخ مجتبى اللنكراني والسيد أحمد الأشكوري، والمكاسب عند الشيخ راضي التبريزي.

وتعرّف في مدرسة جدّه السيد اليزدي إلى آية الله بهجت ودرس عنده قسماً من بحوث «الاستصحاب والتعادل والتراجيح».

ودرس السيد الكشميري «كفاية الأصـول» عند الشيخ محمد حسين الطهراني صاحب «الذريعة»، وعند الشيخ عبد الحسين الرّشتي، وكلاهما من تلامذة مؤلّفها الآخوند الخراساني. وقد بلغت إحاطته وإلمامه بالنصوص الأصوليّة والفلسفيّة حدّ أنْ قال له السيد الخوئي: «إنّ كفاية الأصول معجونة في دمك»، ومنحه إجازة اجتهادٍ خطيّة.

كما درس الفلسفة عند الشيخ صدرا البادكوبي والحاج فيض الخراساني، ودرس قسماً من «أسفار» الملا صدرا عند الشيخ عبد الحسين الرشتي. ثمّ حضر دروس البحث الخارج في الفقه والأصول عند كثير من فقهاء ومراجع عصره كالشيخ علي محمد البروجردي، والسيد عبد الهادي السبزواري، والميرزا حسن البجنوردي، والسيد عبد الأعلى السبزواري، والشيخ محمد كاظم الشيرازي، والسيد أبي القاسم الخوئي رضوان الله عليهم.

يقول السيد عبد الكريم في تقييم أساتذته: «كان معقول السيد محمد حسن البجنوردي غالباً على فقهه، وكتابه «القواعد الفقهيّة» ليس دليلاً على غَلَبة فقهه على معقوله، بينما كان الشيخ علي محمد البروجردي يردّد كثيراً آراء وأقوال أستاذه المرحوم الكمباني في أصول الفقه، وأما السيد عبد الأعلى السبزواري فقد كان من أصحاب القلوب اليَقِظة، وقد حضرت ردحاً

من الزمن دروسه في البحث الخارج، وقرأت دروس البحث الخارج في «العروة الوثقى» عند السيد عبد الهادي السبزواري الذي كان عالماً جيداً ويواظب كثيراً على ذكر (قل هو الله أحد)».

وقد استطاع السيد عبد الكريم أن يحتلّ وجماعة من أقرانه منزلة علميّة رفيعة في الأوساط الحوزويّة، حتى أنّهم إذا حضروا درساً أصبح هو الدرس العام والأساسيّ في النجف الأشرف.

وبسببٍ من مكانته العلميّة والاجتماعيّة، تمكّن ـ في فترة لاحقة ـ من التصدّي لتدريس الفلسفة من «منظومة السبزواري» على الرّغم من المعوّقات التي كانت تعترض سبيل تدريسها، حتى بلغ عدد دروس الفلسفة وغيرها من المعارف الإسلاميّة التي كان يُلقيها أحد عشر درساً في اليوم. وقد بقي على هذا المنوال حتى لقائه بالعارف السيد هاشم الحدّاد، وحينها هجر التدريس ودخل مرحلة جديدة في السلوك على يديه.

مؤلّفاته

دوّن آية الله الكشميري خلال إقامته في النجف الأشرف تقريرات دروس أساتذته وبعض التعليقات على المناهج الدراسيّة، وقد نقل معه قسماً منها حين هجرته إلى قم عندما تعرّضت حياته للخطر على أيدي أزلام النظام البعثيّ البائد، ولكنْ صادرتها منه الشرطة العراقية على الحدود مع إيران، وهي المحاضرات الأخلاقيّة للشيخ العارف مرتضى الطالقاني، وتقريرات أبحاث آية الله الخوئي، وشرح على «كفاية الأصول» حَظِيَ بتقريظ آية الله الخوئي وآية الله الميلاني، وكتيّب في الأذكار والأوراد، وديوان شعر باللّغة العربية.

«يـا جـدّاه»

لعلّ السِمة الأبرز في شخصيّة آية الله الكشميري هي تعلّقه الشديد بمولى الموحّدين وأمير المؤمنين عليه السلام، حتى بات الحديث عنه وعن النجف الأشرف وِرده الذي لا يفتر عنه. كان رحمه الله إذا اشتدّ عليه المَرض ـ بعد هجرته من النجف ـ وجيء بطبيب، يقول: «طبيبي هو مرقد أمير المؤمنين». وتقول زوجته إنّه كان يعشق زيارة «أمين الله»، وكلّما استبدّ به الشوق إلى النجف نادى بأعلى صوته: «يا جدّاه».

ويروي صهره السيد جواد أنّه كان يُفضّل الجلوس في باحة حرم أمير المؤمنين في فصل الصيف حيث درجة الحرارة تتجاوز الـ ٤٥ درجة مئويّة، ويقول: «هنا الحياة، إنّ روحي تتجدّد هنا».

ويُنقل عن المرحوم العارف الشيخ جعفر المجتهدي أنّه قال في السيد الكشميري: «إن قلب هذا السيد

السيد الكشميري مع اثنين من طُلابه

مملوءٌ بحبّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى درجة أنه في كلّ مرة يأتي فيها إلى دارنا تأتي معه أيضاً قبة أمير المؤمنين عليه السلام».

ويقول السيد الكشميري نفسه: «كانت إذا عَرَضت لي مشكلة أذهب إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام وأقرأ سبع مرات (نادِ علياً...) فتُحلّ هذه المشكلة».

الصدّيقة الكبرى عليها السلام

تقول زوجة آية الله الكشميري: «كانت تظهر عليه معالم الحزن والمُصاب ".." خاصة أيام مُصاب الصدّيقة الزهراء عليها السلام، حيث ينطوي على نفسه ويُردّد أشعار النياحة في سرّه..».

وكان رضوان الله عليه يحرص على إحياء أيام مصابها بمجالس خالية من الرياء، فلم يكن يأبه لعدد الحاضرين، كما كان يؤكّد على صلاة الاستغاثة بالزهراء عليها السلام؛ وهي: عن الصادق عليه السلام: «إذا كانت لك حاجة إلى الله، وضِقت بها ذَرعاً، فصلِّ ركعتين، فإذا سلّمتَ كبِّر الله ثلاثاً، وسبِّح تسبيح فاطمة عليها السلام، ثمّ اسجد وقل مائة مرّة: (يا مولاتي فاطمة أغيثيني)، ثمّ ضع خدّك الأيمن على الأرض، وقل مثل ذلك، ثمّ

عد إلى السجود، وقل ذلك مائة مرّة وعشر مرات، واذكر حاجتك، فإنّ الله يقضيها».

سيّد الشهداء عليه السلام

أمضى آية الله الكشميري حياته في مدينَتَي النجف وقم، وكان يزور كربلاء المقدّسة في شهري محرّم وصفر وفي ليالي الجُمع من كلّ أسبوع. ولإحياء شعائر الحزن على أبي عبد الله الحسين في هذه المدن الثلاث خاصيّة عجيبة لا يعرفها إلا من وُفّق لمعاينتها عن قُرب، حتى يُخيّل إليه متى عاينها أنّه لم يندب أبا عبد الله من قبل، وأنّ ما يراه هو غاية الممكن في إحياء شعائره سلام الله عليه. لكنّ السيد الكشميري ـ مع ذلك كلّه ـ كان يعتبر أنّ ما يفعله الموالون هو دون الوفاء بحقّ الإمام الحسين عليه السلام.

وقد بلغ حبّه لسيد الشهداء عليه السلام أنّه كان يخرج من داره يوم العاشر من محرّم حاسر الرأس حافي القدمين وقد لطخ وجهه وجبهته بالتربة الكربلائية، ويبقى على هذه الحال حتى ما بعد الظهر. وكان يجلس عند مدخل حرم السيدة المعصومة حيث مسير المواكب الحسينيّة، ويبقى حتى الليل باكياً متفكّراً يرمق القبّة الشريفة.

تقول زوجته عن أيّام إقامتهما في النجف الأشرف: «كان إذا أشرقت شمس يوم الخميس انصرف فكره عنّا صوب كربلاء. وعندما يغادر النجف إلى كربلاء، كان يقول لمن معه: هنا حرم أمير المؤمنين عليه السلام وهناك حرم سيد الشهداء عليه السلام، وينبغي أن يُحترم هذا المسير بين الحرمين فلا نتحدّث خلاله بحديث دنيوي».

فإذا وصل إلى كربلاء، قصد حرم الإمام الحسين عليه السلام أوّلاً. يقول رضوان الله عليه في ذلك: «في إحدى المرات أردت زيارة السيد هاشم الحداد قبل الذهاب إلى حرم سيد الشهداء عليه السلام، وأنا في الطريق سمعت طفلاً يقول لوالده: يا أبي، أنظر إلى هذا الرجل كيف يترك زيارة سيّده أولاً ويقصد زيارة عبدٍ من عبيده! فأصابتني الدّهشة لما أجراه الله تعالى من كلام على لسان هذا الطفل».

صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف

لطالما شدّد آية الله الكشميري على ضرورة أن يُعزّز المؤمن علاقته بالإمام المهديّ عليه السلام، وكان يرى ضرورة أن يفرّغ السالك ساعةً من وقته يوميّاً لصاحب الزمان عليه السلام، يقرأ فيها زيارة «سلام على آل ياسين»، ويكرّر بعدها أذكاراً خاصّة. وكان يحثّ معارفه وتلاميذه على زيارة الأماكن المنسوبة إلى الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف، وفي طليعتها مسجد «السهلة» الذي كان يُحيي فيه ليالي الأربعاء بالعبادة حتى الصباح.

العبادة والذكر

لقد أذاق آية الله الكشميري بدنه مشقّة السهر والتهجّد والعبادة لساعات طويلة يوميّاً على مدى سنوات حتى أقعده المرض. ومع ذلك لم تصدر منه أيّة شكوى على الرغم من آلام الظهر المبرّحة وإصابته بجلطتين في القلب، وكان إذا سُئل عن صحّته يكتفي بقول: «الحمد لله».

وأما صلاته فهي صلاة العارفين التي تتجلّى فيها أسمى مصاديق «الصلاة معراج المؤمن»، وكان يُشدّد على ضرورة أدائها أوّل الوقت، بل أن يجلس المصلّي في مُصلاّه قبل دخول وقتها، ويتفكّر في أنّه بعد قليل سيقف بين يدي إلهٍ أبديّ غفور عزيز رحيم.. ويحاول أن يصرف ذهنه عمّا يُشغله من أمور الدنيا لتكون صلاته بحضور قلب.

ويُنقل عن زوجته أنّه «كان يستغرق في الصلاة كأنه يرى الله» وأنّ صلاته كانت أشبه شيء بالمناجاة، حيث تستغرق قراءة الفاتحة أو القنوت أو السجود مدّة نصف ساعة أحياناً.

وعن عبادته وتهجّده في جوف الليالي، يقول الحاج صاحب عضد الله الذي رافقه ٢٥ سنة كاملة: «كنت أذهب معه في بعض الأحيان إلى مسجد الكوفة، فكان يبقى فيه مستيقظاً إلى الصباح يصلّي ويتعبّد».

ويقول نجله السيد محمود: «كان يصعد في الليل إلى سطح الدار ويتعبّد هناك لكي لا نراه».

وكان رضوان الله عليه يقول: «إن الاستيقاظ في السَّحَر أفضل من الإستيقاظ بين الطلوعَين لمن لا يقوى على الإستيقاظ فيهما معاً».

وأما تلاوته للقرآن فهي أُنسه بالله تعالى، وكان مواظباً على تلاوته في البيت وفي الطريق أيضاً، حتّى أنّ عائلته كانت تعرف بقدومه إلى البيت من سُماع

تلاوته، وكان يشدّد على تعلّم أحكام التجويد والتلاوة الخالية من الأخطاء.

ويحكي أبناؤه وتلامذته عن أحواله في الذكر واستحضار الله تعالى ما يُستنتج منه أنّه رضوان الله عليه كان التحق بالملكوت الأعلى قبل وفاته. يقول أحد أبنائه: «لم يكن والدي في هذا العالم، ".." وكانت عباداته قلبيّة».

ويضيف: «لا ندري ماذا كان يقول، وكل ما نعلمه أنه كان في حال الذكر خلال أربع وعشرين ساعة، حتى عندما يمشي في الطريق. كانت المسافة بين دارنا وحرم أمير المؤمنين عليه السلام أكثر من ثلاث كيلومترات، وكان يقطع هذه المسافة كل يوم أربع مرات ـ ذهاباً وإياباً ـ مشياً على الأقدام، وكان لسانه يلهج بذكر الله في كلّ خطوة يخطوها».

ويؤكّد تلامذته على حقيقة أنّه كان أكثر وقته منصرفاً عنهم، كأنه معهم وليس معهم في آنٍ واحد، فكانوا يرونه مجذوباً إلى الأعلى، ومهما جهدوا لجذب انتباهه أخفقوا، إلا إذا شاء هو أن يجاملهم ويلتفت إلى حديثهم.

الوفاة

كان آية الله الكشميري في سنوات عمره الأخيرة يذكر الموت كثيراً، ويردّد أحياناً ما رُوي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كتبه على كفن سلمان المحمديّ:

وفدتُ على الكريم بغير زادٍ من الحسنات والقلب السليمِ

فحملُ الزاد أقبحُ كلّ شيءٍ إذا كان الوفود على الكريمِ.

وكان يقول: «الموت أمامي ولا مزاح فيه»، وإذا سُئل كيف حالكم يقول: «في حال النزع». وقال لأحد تلاميذه مرّة: «رأيت السيد هاشم الحداد في عالم الرؤيا وهو يقول لي: لماذا أنت مغموم؟ إنّ الفرج قريب!».

تُوفّي رضوان الله عليه في العشرين من ذي الحجّة سنة ١٤١٩ هـ عن عمرٍ ناهز الرابعة والسبعين، وشُيّعت جنازته في قمّ، وصلّى عليه آية الله الشيخ بهجت قدّس سرّهما، ودُفن في حرم السيدة المعصومة عليها السلام إلى جوار مرقد العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب «تفسير الميزان».

* مُقتبس من كتاب «لسان الصدق»، (بتصرّف).

كسرُ صنَمِ التَكبُّر

نُقل عن السيد الكشميري أنّ «عالماً» أَلَحّ عليه أن يصطحبه إلى طبيب «العلماء» الروحي في عصره، الحدّاد الكربلائيّ، المعروف بالسيد الحدّاد.

يقول السيد الكشميري: «استحييتُ من ردِّه، ولكني كنتُ خائفاً أن يطردنا السيد الأستاذ».

لم يكن هذا «العالم» في وارد التزكية و عالَم المعنى، بل كان متبحِّراً في ظواهر العِلم والألفاظ، دون خرْق الحجاب لِتَتَسمّر عينا القلب على المعنى، وهذه الظواهر هي ما يعبّر عنه الشيخ البهائي وغيره بـ «القيل والقال»، الذي لا بدّ منه شرط أن يكون القلب مشدوداً إلى المعنى.

أضاف السيد الكشميري: «ذهبت مع هذا "العالم" إلى دكان السيد الحداد.. سلّمنا.. ردّ السلام مع نظرة لا تَنمُّ عن الرِّضا.

قال صاحبي للسيد الحداد: (سيّدنا أريد أن أتعلّم منكم).

ومباشرةً دخل شخص ظاهرُه أنه من "عامة الناس" كما يقولون. سلّم وجلس. نظر السيد الحداد إلى "صاحبي، العالم" وقال له باللهجة العراقية: (كُوم سَوِّيلَه غَرْشَه!) أي: (قم وأعدّ النارجيلة لهذا الشخص!).

لم يقم صاحبي، ولم يجرؤ أن ينبس ببنت شفه. لكن ظهرت عليه ملامح تقول: (مَن؟؟! أنا أُعدّ "غرشة" لمثل هذا!!).

لم يُمهله السيد الحدّاد أن يُكمل حديث الملامح، فعاجلَه بصاعقة أشدّ قائلاً له: (كوم إطلع برّا، بهالنفسية وتريد تتعلّم؟!).

**

كان التكبّر هو الصنم الذي رأى السيد الحدّاد أنه لا بدّ من كسرِه لرفع إصرِه والأغلال. فهل يُتاح لي ولك مَن يكسر هذا الصنم؟ أللّهمّ ارزقنا.

التّظليل للرجال
حال الإحرام

من فتاوى وليّ أمر المسلمين السيد الخامنئي دام ظلّه

* لا يجوزُ للرَّجل التظليلُ حالَ الإحرام أثناء السير وطيِّ المنازل (كالسير بين الميقات ومكّة، أو بين مكّة وعرفات، ونحوهما)، نعم لا إشكالَ في التظليل إذا وقف في مكان أثناء الطريق، أو عند وصوله إلى المقصد، كما إذا دخل بيتاً أو مطعماً. وعليه فلا يجوز في حال السير ركوب الحافلة المسقّفة.
* الأحوط وجوباً للمُحرِم بعد وصوله إلى مكّة وقبل إتيانه لمناسك العُمرة، الاجتنابُ عن الاستظلال بالظلّ المتحرّك كالسّيارة المسقّفة أو المظلّة، وكذا بعدما أحرم بالحجّ، في حال السير إلى عرفات، وإلى مزدلفة لو اتّفق سيره إليها في النهار، ومن المزدَلفة إلى مِنى، وكذا في حال السير داخل عرفات ومِنى.
* الحكم المتقدّم في المسألتين السابقتين مختصٌّ بالتظليل في النهار، وعليه فلا مانع من ركوب الحافلة المسقّفة في الليل وإن كانت مراعاة الاحتياط مطلوبة.
* الأحوط في الليالي المُمطرة أو الباردة ترك الاستظلال بالحافلة المسقّفة ونحوها.
* لا إشكال في الاستظلال حتى أثناء النهار بظلّ الجدار والشجرة وأمثالهما، وكذا العبور تحت السقف الثابت كالنفق والجسر.
* حرمة التظليل على المُحرم مختصّة بالرجال فيجوز للنساء الاستظلال مطلقاً.
* كفّارة الاستظلال شاة.
* إذا اضطرّ إلى الاستظلال لمرض أو لعذرٍ آخر جاز له ذلك، ولكن يجب عليه التكفير بشاة.
* تجب كفّارة الاستظلال في كلّ إحرامٍ مرّةً واحدة وإن تكرّر منه ذلك. وعليه فلو استظلّ أكثر من مرّة في إحرام العُمرة مثلاً فلا يجب عليه أكثر من كفّارة واحدة، وهكذا لو كان في إحرام الحجّ.

(مناسك الحجّ، الفصل الثاني، محرّمات الإحرام)

من فتاوى المرجع السيد السيستاني دام ظلّه

* المُراد من التظليل التستُّرُ من الشمس، ويلحق بها المطر على الأحوط ، وأما الريح والبرد والحرّ ونحوها فالأظهر جواز التستّر منها، وإنْ كان الأحوط تركه، فلا بأس للمُحرِم أن يركب السيارة المسقَّفة ونحوها في الليل، إذا لم تكن السماء ممطرة، وإن كانت تحفظه من الرياح مثلاً.
* ما تقدّم من حُرمة التظليل يختصّ بحال السير وطيِّ المسافة، وأما إذا نزل المُحرِم في مكان سواء اتّخذه منزلاً أم لا، كما لو جلس في أثناء الطريق للإستراحة أو لملاقاة الأصدقاء أو لغير ذلك، فلا إشكال في جواز الاستظلال له. وهل يجوز له الاستظلال بالأجسام السائرة حال تردّده في حوائجه في المكان الذي ينزل فيه أو لا؟ مثلاً إذا نزل مكّة وأراد الذهاب إلى المسجد الحرام لأداء الطواف والسّعي، أو نزل مِنى وأراد الذهاب إلى المذبح أو مرمى الجمار، فهل يجوز له ركوب السيارة المُسقَّفة أو رفع المظلّة فوق رأسه أو لا؟ الحكم بالجواز مُشكل جداً، فالإحتياط لا يُترك.
* لا بأس بالتظليل للنساء والأطفال، وكذلك للرِّجال عند الضرورة.
* إذا ظلّل المُحرم على نفسه من المطر أو الشمس لَزِمَتْهُ الكفّارة، والظاهر أنه لا فرق في ذلك بين حالتَيْ الاختيار والاضطرار، وإذا تكرّر التظليل فالأحوط التكفير عن كلّ يوم، وإنْ كان الأظهر كفاية كفّارة واحدة في كلّ إحرام. ويُجزيء في الكفّارة دمُ شاة.

(مناسك الحجّ، باب تروك الإحرام)

عبد المحسن الصوري

شاعرٌ من مدينة صور من القرن الرابع الهجري

هو أبو محمد، عبد المحسن بن محمد الصوري (٣٣٩ – ٤١٩ هـ) ، نسبةً إلى صور من ساحل جبل عامل. له ديوان من خمسة آلاف بيت، وقد عدّه ابن شهر آشوب من شعراء أهل البيت المجاهرين، وذكرَه ابن أبي شبانة في تكملته لـ «أمل الآمل»، كما مدحه العلامة الأميني في «الغدير»، وأورد طرفاً من قصائده، مشيراً إلى أنّ ابن أبي شبانة لا يترجم لغير المتمسّك.

للشاعر الصوريّ قصائد كثيرة في مدح أهل البيت عليهم السلام، منها قصيدته في مدح أمير المؤمنين عليه السلام، يقول في مطلعها:

ولاؤك خيرُ ما تحت الضميرِ
وأنفَسُ ما تمكّنَ في الصدورِ.

أمّا الأبيات الواردة هنا، فهي منقولة عن مخطوطة منسوخة في القرن الحادي عشر:

بالذي ألبس خدّيك من الورد نقابا
والذي أَسْكَنَ في فيك من الشَهد شرابا
والذي ألهم تعذيبي ثنايا كَ العِذابا
والذي صيّر حظّي منك هجراً واجتنابا
ما الذي قالته عيناك لقلبي فأجابا

وقال أيضاً:

لحظاتٌ ترامى بي من المرمى القصيِّ
طَرَحتني من عليٍّ بين ألحاظ عليِّ
فادّعى رقي وما رقى بدعوى المدعيّ
أنا عبد المحسن الصوري لا عبد المُسيء

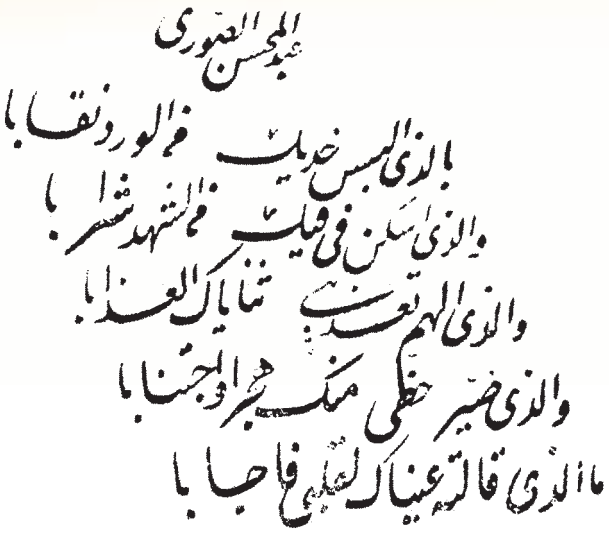

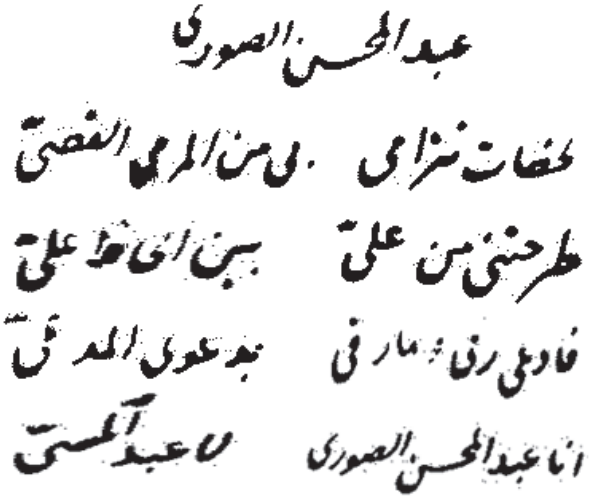

من مخطوطات
مركز الفقيه العاملي
www.alameleya.org

رسالة النبيّ الأكرم ﷺ
إلى هِرَقْل ملك الروم

إعداد: «شعائر»

إتّسمت الرسالة الإلهيّة التي بُعث بها النبيّ محمد صلّى الله عليه وآله بالعالميّة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ سبأ:٢٨، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنبياء:١٠٧. وخاطب القرآن الكريم الناس عموماً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، واستخدم لطيف العبارات في تذكير الإنسان بما فُطِر عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الإنسان﴾.

في أوائل السنة السابعة أخذ نور الرسالة الإسلاميّة ينطلق إلى خارج حدود الجزيرة العربيّة حيث كتب النبيّ الأكرم ﷺ في يوم واحد إلى إمبراطورَي الروم وفارس، ومَلِكي الحبشة والقبط ، وإلى الحارث بن أبي شمر الغسانيّ مَلِكِ تخوم الشام، وإلى هوذة الحنفيّ ملك اليمامة. هذه الكتب بأجمعها تتضمّن معنىً واحداً، وإنْ كان اللّفظ مُختلفاً، وهو الدّعوة إلى التوحيد والإسلام، ومَغزاه قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ آل عمران:٦٤. ولا يُوجد بين معنى هذه الكتب وبين نداءه ﷺ يومَ صَدَعَ بالرسالة بنداء التوحيد، وهو نداء الفطرة: «قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا» فرقٌ أصلاً.

ولذلك، لا ترى في أكثر هذه المكاتيب أثراً من الحرب أو الجزْيَة، بل كان مرماه الشريف ﷺ إيقاظ شعور الأُممَ، وتوجيههم نحو الحقّ والحقيقة، وإتمامَ الحُجّة لئلا يكونَ للناس على الله حُجّةٌ بعدَ الرُسل. ومن الإشارات المُهمّة عن تلك الرسائل؛ أنّها استخدمتْ لغة الكلمة الرصينة في إبلاغ ما جاء به النبيّ من الهُدى، وكان مُفتتح تلك الرسائل يتضمّن تبجيل المُرْسَل إليه بلغة الإحترام: «كِسرى عظيم الفُرس» و«هِرَقْلَ عظيم الرُوم» و«المُقَوقِس عظيم القِبط».

في ما يلي نقتبس مِمّا أوردَتْه المراجع التاريخيّة والوثائق عن الرسالة التي بعث بها رسولُ الله إلى هرقل ملك الروم.

«لقد بعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبيّ إلى قيصر، وهو هرقل ملك الرومَ، فوصل إلى بُصرى [قريباً من محافظة درعا السوريّة]، وبعثَه صاحبُ بُصرى إلى هرقل، وكان يرى في ملاحمهم أنّ مَلِكَ الختان قد ظهر». (تاريخ إبن خلدون: ج٢، ص ٣٦)

«فقرأ الكتاب وإذا فيه: «بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمّدٍ عبدِ اللهِ ورسولِه، إلى هِرقلَ عظيم الرّوم: سلامٌ على مَن اتّبع الهُدى، أما بعد، فإنّي أدعُوك بِدعاية الإسلام، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مرّتين، فإنْ تَوَلَّيْتَ فإنّ عليك إثمَ الأريسيّين و﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾». (المحلى، ج ١، ص ٨٣)

وقد ركّز الرسول الأعظم في رسالته هذه على نقاط الإلتقاء بين الإسلام والديانة المسيحيّة؛ وهي عبادة الله تعالى، وتوحيدُه، وتركُ ربوبيّة الناس على بعضهم بعضاً. وهذه الآية تحثّ على إيجاد أرضيّة مُشتركة مع الأديان السماويّة جميعاً، ونبذِ اللّغة التي تبحث عن الخلاف والعداء.

موقف هرقل: يقتصر ابن خلدون في بيان موقف قيصر الرّوم على أنّه استدعى مَن في مملكته من قوم النبيّ ﷺ، فأُحضروا له من غزة، وكان فيهم أبو سفيان فعلم هرقل أحوال النبي وتفرّس صحة أمره، وعرض على الروم اتّباع الرّسول فأَبوا، فلاطفهم بالقول وأمْسَكَ عن الإلحاح. وفي تاريخ الطبريّ وغيره تفاصيل حوار هرقل مع أبي سفيان، وفيها ما يدلّ على رَجاحة عقل هرقل، ومعرفتِه بنبوّة رسول الله ﷺ - التي كان أبو سفيان ينكرها - وقد أكّد القرآن الكريم أنّ النصارى كانوا يعرفون رسول الله ﴿..كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ..﴾ لِبشارة الأنبياء السابقين به ﷺ. ومِمّا تنبغي ملاحظته في الحديث عن كتاب الرسول ﷺ ورسالتِه هذه، أنّ هرقل كان متواجداً في الشام في طريقه إلى القدس، وفاءً بِنَذْرِه أن يزورها إذا انتصر على الفُرس.

شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيّب:

نحن نصلّي وراء الشيعة وقرآننا واحد

نشرت جريدة «النهار» اللبنانية بتاريخ ١٥ تشرين الأوّل ٢٠١٠ نصّ مقابلة أجرتها مع شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيّب، جاء فيها ما يلي:

«إستقبل شيخ الأزهر الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيّب يوم الأحد المنصرم الزميل جهاد الزين في مكتبه في مشيخة الأزهر في القاهرة. "..." مع الإشارة إلى أنها المقابلة الأولى لشيخ الأزهر الجديد مع الصحافة اللبنانية.

• آتيك، مولانا، من بلد الفِتنتين لبنان. الفتنة القديمة المسيحيّة – المسلِمة، والفتنة الجديدة السنيّة – الشيعيّة، وهذا كثيرٌ جداً على بلدٍ صغير مثل لبنان. تصوّر سيدي أنّ هذا اللبنان يحمل دفعة واحدة مشكلة الفتنة المسلِمة – المسيحيّة التي عادت تطلّ برأسها في مصر، وجاء بيانك المشترك مع غبطة البابا شنودة حاسماً ضدّها، ومشكلة الفتنة السنيّة –الشيعيّة التي انطلقت من العراق. مصر أمّ الثمانين مليون نسمة، والعراق أبو الثلاثين مليوناً. فكيف للبنان ذي الأربعة ملايين نسمة والرقعة الجغرافية الصغيرة أن يحمل على أكتافه ما تحمله مصر والعراق معاً. في أوائل الصيف الماضي قال لي في النجف المرجع الشيعي الأعلى السيد علي السيستاني إنه ليس قلقاً على العلاقات بين السنة والشيعة داخل العراق لو تُرك الأمر للطائفتين، ولكنه قلق من استمرار التوتّر الإيراني السعودي ـ على المستوى الإقليمي ـ في التأثير على تفاقم الفتنة السنيّة – الشيعيّة بما يجعل السيطرة على مجرى الأمور أصعب. ما هو تعليقكم؟

– هذا الموضوع لا يحتاج إلى تفكير كثير أو تنظير أو متابعة لأن النُذُر واضحة. هناك قلق يأتينا من خارج المنطقة، ودعني أتحدّث عن مجالي هنا فقط "..." أقول إنّ فتنة يُخطَّط لها ويُراد لها أن تنبعث في بلاد أهل الإسلام. طبعاً حينما أرى ظاهرة كهذه فإنني أُنكرها، ومن دون الاتهام لأي دولة، لأننا نحتاج الى وحدة الأمة الإسلاميّة لكلّ دولها، وهذا شيء مهم وضروري ونحتاجه، وبدونه لا نستطيع أن نرفع رؤوسنا في يوم من الأيام. أبحث عن المُستفيد ممّا يحدث الآن. بعض البلدان

الإسلاميّة، وبعض المتشدّدين يتحمّلون جزءاً من المسؤوليّة حول هذه الفتنة. حينما تكون هناك فضائيّات تحكم بكفر الشيعة هذا شيء مرفوض وغير مقبول، ولا نجد له مبرّراً لا من كتاب ولا سنّة ولا إسلام، نحن نصلّي وراء الشيعة فلا يوجد عند الشيعة قرآن آخر كما تُطلَق الشائعات وإلا ما ترك المستشرقون هذا الأمر، فهذا بالنسبة إليهم صيد ثمين، ولي بحث في هذا المجال، وجميع مفسّري أهل السنّة من الطبري وحتى الآن لم يقل منهم أحد إنّ الشيعة لديهم قرآن آخر.

• هل هناك أخطر من موضوع "عصمة الأئمة" كخلاف عقائدي بين السنّة والشيعة؟

- لا يوجد خلاف بين السنّي والشيعي يخرجه من الإسلام، إنما هي عمليّة استغلال السياسة لهذه الخلافات، كما حدث بين المذاهب الفقهيّة (الأربعة). كلّ الفروق بيننا وبينهم هي مسألة الإمامة. فعندنا في السُنّة الإمامة بالاختيار "..." وهم يقولون إنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أوصى للإمام عليّ (كرّم الله وجهه). فلو اعتقدت أنّ سيّدنا عليّ أولى بالخلافة ليست هناك مشكلة "..." والمشكلة هي في التوظيف المُغرض للاختلاف لضرب وحدة الأمة.

• هل ستزور النجف؟

- اذا ذهبت إلى العراق سأزور النجف. الأزهر واجبه الأول وحدة الأمة الاسلاميّة، وكذلك تجميع المسلمين على رؤية واحدة مع اختلاف الاجتهاد، ومستعدّ لزيارة أيّ مكان أجمع فيه المسلمين مع بعضهم البعض، والنجف بصفة خاصّة».

ترحيب بفتوى الإمام الخامنئي

وكان شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيّب قد أصدر مطلع الشهر الفائت بياناً رحّب فيه بالفتوى «الكريمة» التي أصدرها وليُّ أمر المسلمين الإمام

شيخ الأزهر الشريف الدكتور أحمد الطيب

الخامنئي بتحريم النيل من رموز أهل السنّة واتّهام زوج الرّسول صلّى الله عليه وآله..

ووصف شيخ الأزهر في بيانه الفتوى بأنّها صادرة عن علم صحيح، وعن إدراك عميق لخطورة ما يقوم به أهل الفتنة، وتعبِّر عن الحرص على وحدة المسلمين.

أضاف أنّ هذه الفتوى «أَتَتْ في أوانها لِتَرْأَبَ الصّدع وتُغلق أبواب الفتنة»، داعياً الله سبحانه وتعالى أن تكون فاتحة خير، وبدايةً لعملٍ جادٍّ موصولٍ لجمع المسلمين على كلمة سواء، بعيداً عن دعاوى الغلوّ والتطرّف ودُعاة الفُرقة والخلاف.

وقرّر الشيخ الطيّب أنّ السعي لوحدة المسلمين فرضٌ، وأنّ الاختلاف بين أصحاب المذاهب الإسلاميّة ينبغي أن يبقى محصوراً في دائرة الاختلاف في الرأي والاجتهاد بين العلماء وأصحاب الرأي، وألا يمسّ وحدة الأمّة، مِصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿..وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

قراءة في كتاب

«الغدير في الكتاب والسُنّة والأدب»

للعلامة الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي

عبد اللطيف عباس

العلامة الأميني قدس سرّه

«الغدير في الكتاب والسُنّة والأدب» هو النتاجُ العلميّ الكبير للعلامة الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي (ت ١٩٧٠م)، وحصيلةُ جهود مُضنية، على مدى خمسين عاماً، أمضاها المؤلّف رضوان الله عليه، منقِّباً ومتقصّياً ومدقّقاً في متون عشرات الآلاف من الكُتب المطبوعة والمخطوطة بجميع صحائفها، ممّا جعل كتابه مرجعاً ضخماً وهامّاً ـ بالدرجة الأولى حول حديث رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ ـ يُسهّل للباحث الوصول بكلّ يسر إلى ما يحتاجه في مجال التأليف والدراسات والأبحاث.

يقول العلامة الأميني نفسه بهذا الصدد: «لقد قرأتُ لأجل كتاب الغدير عشرة آلاف كتاب من باء باسم الله إلى تاء تمّ الكتاب، وراجعتُ مراراً مائة ألف كتاب». وهذا الأمر لم يكُن مُتاحاً لولا أنّه رحمه الله أغلق على نفسه باب التردّد على الأندية والمجتمعات، واعتكف في مكتبته الخاصّة، بمعدّل ست عشرة ساعة يوميّاً، متفرّغاً للطاعة والعبادة في هذا الميدان الديني المقدّس؛ نعني به إثبات ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وإظهار حقّانيّة المتقصّين لأثر آل رسول الله التزاماً بما صدر عنه صلى الله عليه وآله. وفضلاً عن قراءة ومراجعة جميع المصادر المتوفّرة في المكتبات العامّة والخاصّة في النجف الأشرف، سافر العلامة الأميني إلى إيران، وسوريا، والهند، والحجاز، وتركيا متقصّياً المصادر والوثائق التي لم تكن متوفّرة في موطنه بالنجف الأشرف، فخرج الكتاب شاملاً يتّسع لجميع ما قيل وَوَرَدَ حول حديث الغدير، والبحوث المرتبطة به أو المُتفرّعة عنه، كلّ ذلك بلغة رصينة مصقولة ضمن منهجيّة علميّة مُحكَمة، وبعيدةٍ كلّ البُعد عن التحيُّز والأحكام المسبقة. ورعايةً لقواعد الاحتجاج والمناظرة، اعتمد العلامة الأميني في تأليف موسوعة «الغدير» على أُمّهات مراجع ومصادر المسلمين السُنّة، ولم يَفُتهُ أنْ يبحث مُفصّلاً في مفاد حديث الغدير، وأن يُحقّق ألفاظه، ويتمعّن في دلالاتها، على مدى عشرين مُجلّداً تتألّف منه الموسوعة التي لم يُطبع منها حتى الآن غير أحد عشر مُجلّداً.

موسوعة الغدير في ميزان العلماء

المرجع السيد صدر الدين الصدر: «.. كتاب (الغدير) دائرة معارف إسلاميّة تجد فيها أنواعاً من الفضائل والمعارف ممّا خَلت عنه زُبُرُ الأوّلين، ولا غروَ فإنّ مؤلّفه الإمام العلامة أحدُ مفاخر الطائفة، وحسنةٌ من حسنات عاصمة العلم والدين.. النجفِ الأشرف، وما أدراك ما النجف الأشرف؟ مدرسة جامعة كبرى في دنيا الإسلام منذ ألف سنة تقريباً لصاحبها وحامي حِماها مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، بابِ مدينة العلم الإلهيّ، والمؤلّف

من أعلام متخرّجيها، فلا بدعَ إنْ قلت: إنّ كتاب (الغدير) هو الرسالة النهائيّة التي يكتبها التلميذ عند انتهاء دراسته، أو أطروحة نال بها صاحبها الشهادة العالية بين خرّيجيها..».

«الغدير» كما رآه صاحب «المراجعات»: بعث العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين برسالة خطيّة إلى العلامة الأميني، جاء فيها: «..موسوعتُك (الغدير) في ميزان النقد وحُكم الأدب عملٌ ضخم دون رَيب، فهي موسوعة لو اصطلح على إبداعها عدّة من العلماء، وتوافروا على إتقانها بمثل هذه الإجادة لكان عملُهم مجتمعين فيها كبيراً حقّاً. ولكنّي ما سِقتُ كلمتي لأقول هذا، وإنّما سِقتُها لأُشيرَ إلى هذه الناحية الخطيرة من حياتنا المفكّكة، داعياً إلى التشدّد، والالتفاف حول الحُفنة الباقية من رجال الفكر الإسلامي، ممّن يُجيلون أقلامَهم في علومنا وآثارنا بفقه وحبّ. فليس شيءٌ عندي أخطر على هذا الفكر الوَلود من التفرّق عن رجاله، لأنّ التفرّق عنهم نذيرٌ بعُقم نتاجِه، وقطع حلقاتِه، فالتفرّق عنهم بمعناه تفريق للحواضر والبواعث التي تتّصل بها حياة الحقّ في طبائع الأشياء وظواهر السُنن. وليس أفجع لحضارة الشرق بل لحضارة الإنسان من عُقم هذا النتاج وقطع هذه الحلقات. فإذا دعونا إلى مؤازرتك والوقوف إلى جانبك في شقّ الطريق بين يدَي (غديرك)، فإنّنا ندعو في واقع الأمر إلى خدمة فكرة كليّة ترتفع بها شخصيّة الأُمّة كاملة، آملين أن يرى المفكّرون بك مَثلاً يُشجّعهم بحياة الأُمّة حولك، وحُسن تقديرها لك، أن يخدموا الحقّ الذي خدمتَه لوجه الحقّ خالصَ النيّة. أقفُ هنا لأقول: إنّ قمّة (الهرم) في عملك الجاهد القَيِّم إنّما هي حبُّك له حبّاً يدفعُك فيه إلى الأمام في زحمةٍ من العوائق والمُثبّطات، وهي خِصلة في هذا العمل الكبير تُعيد إلى الذهن دَأْبَ أبطالنا من خُدّام أهل البيت وناشري علومهم وآثارهم، ذلك الدأْبُ الذي أمتع الحياة بأفضل مبادئ الإنسانيّة من معارفهم النيّرة..».

المرجع السيد محسن الحكيم: «.. مؤلّف كتاب (الغدير) المحقّق الفذّ العلامة الأوحد الأميني دام تأييده وتسديدُه، وقد سرَّحتُ النظر في أجزائه المُتتابعة، فوجدتُه كما ينبغي أن يصدر من مؤلّفه المعظّم، "..." ولقد توفّق كلّ التوفيق في قوّة حُجّته، وشِدّة عارضته، ورَوعة أسلوبه، وجمال محاورته، وقد ضمّ إلى حصافة الرأي جودةَ السرد، وإلى بداعة المعاني قوّة المباني، وتفنّن في المواضيع المختلفة، فَوَرَدَها سديداً وصدر عنها قويماً. فجديرٌ بالمسلم المثقّف الذي يرتاد الحقيقة ويتطلّب الأمر الواقع أن يقرأه ويستنير بضوئه..».

العلامة السيد محمد حسين الطهراني في موسوعته «معرفة الإمام»: «وقد أتى المرحوم العلاّمة الأميني على حديث الغدير من جميع جوانبه ووفّاه حقّه. وذلك في كتابه الفذّ البديع الذي لا مثيل له: (الغدير) الذي يُعدّ فريداً في موضوعه حقّاً، وصاحبه من مفاخر علمائنا. ذَكَرَ العلامة الأميني سند [حديث] الغدير بالتفصيل عن مائة وعشرة صحابيّين مرتّبةً أسماؤهم على حسب حروف الهجاء مع ترجمة وافية لهم. وكذلك أورد أسماء أربعة وثمانين تابعيّاً وفقاً للترتيب الهجائي. ونقل في موسوعته أسماء الرواة الذين رَووا هذا الحديث، اعتباراً من القرن الثاني حتى القرن الرابع الهجري، ومجموعهم ثلاثمائة وستّون راوياً مع ترجمة لحياتهم. وكذلك ثبّت فيه أسماء المؤلّفين الذين صنّفوا في حديث الغدير، وعددهم ستة وعشرون شخصاً.

الشيخ محمد سعيد دحدوح الحلبي: «.. نعم، وقفت أمام ثبج (الغدير)، وخُضتُ غِماره، وسَبحتُ فيه، فإذا أمامي مشاهد التأريخ، وأفلام الزمان، وأقلام المؤلّفين، وفصول الكتب، ونشيد الشعر، وأريجُ الحديث، كلّها تدلّني على أنّ الغدير حقٌّ ليس بمُختَلَق، وأنّ الناس يقولون ما لا يعلمون، إما ابتغاءً للفتنة، أو تقرّباً للملوك الظالمين، أو جُبناً عن النطق بالصواب والواقع ...».

الأديب المصري محمد عبد الغني حسن: «.. موسوعة كبيرة تدور حول الكلمات الطاهرة التي نطق بها الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلّم للإمام عليٍّ كرّم الله وجهه، فأثبتَ [العلامة الأميني] الشعراء الذين ذكروا الغدير في قصيدهم، وعطّروا بذِكره أنفاس أشعارهم، "..." ولا يكتفي بذلك كلّه، بل يُترجم لهؤلاء الشعراء تراجم لا يستغني عنها مؤرّخ أو باحث أو أديب..».

الأُضحية
السُّنَّة المَهجورة

إعداد: الشيخ علي المسترشد

* «إنّما جُعل هذا الأضحى لِتَشبعَ مساكينُكم، فَأَطْعِمُوهم من اللّحم» . رسول الله صلى الله عليه وآله
* «لو عَلِمَ الناسُ ما في الأُضحية لاستدانوا وضَحَّوا ، إنَّه يُغفر لصاحب الأُضحية عند أوّل قطرةٍ تقطُر من دمها» . أميرُ المؤمنين عليه السلام

الأُضحية هي الذبيحة التي يُضحّي بها الحاجّ وغيرُ الحاج من المسلمين في يوم عيد الأضحى .حيث يُستَحَبُّ لكل مسلم و لو لم يحجّ ، أن يُضحّي عن نفسه وعن كلِّ فردٍ من عِياله .

الأُضحية في الروايات

* **الأُضحية الفارهة:** عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اسْتَفرِهوا ضَحاياكم، فإنّها مَطاياكم على الصراط**».
أي اختاروا الأُضحية الفارهة السّمينة وغير الصغيرة، فإنّها وسائطُ جوازِكم على الصراط.

* **يُكرَه أن يُضحّي الرّجلُ بما ربّاه:** قال محمد بن الفضيل: كان عندي كَبشٌ سمينٌ لأُضَحّي به، فسألتُ الإمامَ الكاظم عن ذلك، فقال عليه السلام: «**ما كنتُ أُحبُّ لكَ أن تفعل، لا تُرَبِّيَنَّ شيئاً من هذا ثمّ تَذبحه**».

* **رسول الله صلى الله عليه وآله يُضحّي عن أُمّته:** عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**وَضَحّى رسول الله صلى الله عليه وآله بِكَبشَين: ذبحَ واحداً بِيَده، وقال: أللّهمّ هذا عنّي وعمّن لم يُضَحِّ مِن أهل بيتي، وذبحَ الآخر، وقال: أَللّهمّ هذا عنّي وعمّن لم يُضَحِّ من أُمّتي**».

* **أمير المؤمنين عليه السلام يُضحّي عن رسول الله صلى الله عليه وآله:** عن الإمام الصادق عليه السلام: «**كان أمير المؤمنين عليه السلام يُضَحّي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله كلّ سنةٍ بِكَبشٍ يذبحُه، ويقول: (بِسمِ الله، وَجّهتُ وجهي لِلّذي فطرَ السماواتِ والأرضَ حنيفاً مُسلماً وما أنا من المشركين، إنّ صلاتي وَنُسُكِي وَمَحياي وَمَماتي لله ربِّ العالمين، أللّهمّ منكَ وَلَكَ)، ويقول: (أَللّهمّ هذا عن نبيِّك)، ثمّ يذبحُه، ويذبحُ كبشاً آخر عن نفسه، وقال [عليٌّ] عليه السلام: لا يُضَحّى عمّن في البطن**».
وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**وذبح رسول الله صلّى الله عليه وآله ـ عن نسائه ـ البقرة**».

* **الاستقراض للتضحية:** جاءت أُمُّ سَلَمَة ـ رضي الله عنها ـ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقالت: يا رسول الله، يحضرُ الأَضحى وليس عندي ثمنُ الأُضحية، فَأَستَقرِض وَأُضَحّي؟ قال: «**اسْتَقْرِضي، فإنّه دينٌ مَقضيّ، ويُغفرُ لصاحب الأُضحية عند أوّل قطرةٍ من دمِها**».

* **عِلّةُ الأُضحية:** قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**إنّما جُعل هذا الأضحى لِتَشبعَ مساكينُكم، فَأَطعِموهم من اللّحم**».
وعن الإمام الصادق عليه السلام وقد سُئل: ما عِلّة الأُضحية؟ فقال: «**إنّه يُغفَر لصاحبِها عند أوّل قطرةٍ تقطُر من دمِها على الأرض، وَلِيَعلمَ اللهُ عزّ وجلّ مَن يَتّقيه بالغيب، قال الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ..﴾، ثم قال: انظُر كيف قبل الله قُربانَ هابيل وَرَدَّ قُربانَ قابيل**».

من أحكام الأضحية

١- متى يكون وقت ذبح الأُضحية لغير الحاجّ؟

- يوم العاشر، ويستمر ثلاثة أيام بعدَه. (المرجع الدينيّ الإمام القائد الخامنئي).
- يوم العيد في أيّ ساعة. (المرجع الديني السيد السيستاني).
- يوم العيد (المرجع الديني السيد كاظم الحائري).
- الأُضحية من أهمّ المُستحبات، وَوَقتُها يومُ العيد. (المرجع الديني الشيخ المكارم الشيرازي).

٢- ما هي شروط الأُضحية؟ هل هي نفسُها شروط الهَدي للحجّ من السَلامة وغيرِها؟

- لا يُشترط السلامة في الأُضحية وكذلك السنّ. (المرجع الديني الإمام القائد الخامنئي).
- نعم نفس الشروط، ولكنها مُستحبّة وليست واجبة. (المرجع الديني السيد السيستاني).
- نعم. (المرجع الديني السيد كاظم الحائري).
- ليس فيها مشروطُ الهَدي. (المرجع الديني الشيخ المكارم الشيرازي).

٣- هل يُمكن أن تشترك جماعةٌ في ثمن الأُضحية؟

- لا مانع من ذلك. (المرجع الديني الإمام القائد الخامنئي).
- يجوز. (المرجع الديني السيد السيستاني).
- نعم. (المرجع الديني السيد كاظم الحائري).
- يُمكن اشتراك جماعة في أُضحية واحدة. (المرجع الديني الشيخ المكارم الشيرازي).

٤- وهل يمكن أن أذبح أُضحيةً عن نفسي وعن عائلتي وأصدقائي مثلاً؟

- لا مانع من ذلك. (المرجع الديني الإمام القائد الخامنئي).
- يجوز. (المرجع الديني السيد السيستاني).
- نعم لكل واحد، واحد. (المرجع الديني السيد كاظم الحائري).
- يُمكن اشتراك جماعة في أضحيةٍ واحدة. (المرجع الديني الشيخ المكارم الشيرازي).

الإسم .. الإلـه

العلامة السيد مرتضى العسكري

في ما يلي، تعريفٌ بمُصطلَحي «الإسم» و «الإله» كما ورد في كتاب «المصطلحات الإسلاميّة» من إعداد السيد سليم الحسني الذي جمع تعريفات العلامة السيد مرتضى العسكري رضوان الله عليه للمصطلحات الإسلاميّة من مؤلّفاته.

الإسْمُ

للإسم في لغة العرب مَعْنيان:

أ ـ اللّفظ الذي يدلُّ على مُسمّى به يُمَيَّزُ ويُعرف. مثل: مَكَّةَ علمٌ للبلد الذي فيه الْكَعْبَةُ بَيْتُ اللهّ الْحَرَام، وأسماء الأشخاص في عصرنا: كَيُوسُفَ وَفَيْصَلٍ وَعَبَّاس... الخ.

ب ـ اللّفظ الـذي يـدلُّ على حقيقة المُسمَّى أو صفته. مثل: «اسم» في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ الأعلى:١.

إذ ليس معنى «اسْم رَبِّك» هاهنا لفظ رَبِّكَ فيكون المعنى: سبِّح لفظ ربِّك، وإنّما معناه صفة رَبِّكَ فيكون المعنى: سبِّح صفة رَبِّكَ، أي نَزِّه رُبُوبِيَّةَ رَبِّكَ الأعْلَى عمّا لا يليق بذكره.

ومـن هـذا الباب قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ..﴾ البقرة:٣١، وليس معنى الأسماء التي علّمها اللهُ لآدَمَ خَليفَتِهِ أسماءَ عواصم البلدان: بَغْداد وطَهْرَان ولَنْدَن، وأعضاء جسد الإنسان: العَيْن والرَّأس والرَّقَبَة، وأسماء الفواكه: التِّين والزَّيتون والرمّان، والأحجار: الياقُوت والدُّرِّ والزَّبَرْجَد، والمعادن: الذَّهَب والفِضَّة والنُّحاس والحَديد... إلى ما لا يُحصى من الألفاظ التي سَمّى البشرُ بها الأشياء بِلُغاتهم، وإنّما القصد أنّه تعالى علَّمَه صفات الأشياء وحقائقها.

الإلـه

أوّلاً ـ في معاجم اللّغة:

موجز ما في المعاجم حول الـ «إله»:

«إله» على وزن كتاب، من مادة أَلَهَ يألَه، بمعنى عَبَدَ، يعبُد، عبادة: أي أطاعَ إطاعةً بتذَلُّل وخضوع، ثمّ إنّ لفظ «إله» كـ «كتاب» مصدرٌ واسمُ مفعولٍ معاً، فكما أنّ الكتاب مكتوب، فإنّ الذي جاء بمعنى «مألوه» يأتي أيضاً بمعنى: معبود أو مُطاع.

إذاً «إله» في اللّغة يعني:

١ ـ العبادة، أي: الإطاعة المُطلَقة بتذلّل وخضوع.

٢ ـ المعبود والمُطاع.

كان ذلكم معنى «إله» في اللّغة.

ثانياً ـ في المصطَلح الإسلامي:

الإله في المصطلح الإسلامي من أسماء اللهّ الحُسنى، ومعناه: المعبود، وخالق الخَلق.

وقد جاء في القرآن الكريم بالمعنى اللّغويّ مع وجود قرينة تدلّ على أنَّ المقصود معناه اللّغويّ، مثل قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ..﴾ الآية ٩٦. فإنّ لفظَي: «آخر» و«مع اللهّ» في الآية يدلاّن على أنّ المقصود من الإله: معناه اللّغوي: المُطاع والمعبود.

كما جاء لفظ «الإله» مطلقاً في معناه الاصطلاحي في آيات كثيرة أُخرى من القرآن الكريم، والتي تحصر الأُلوهيّة في اللهّ سبحانه.

وأَجمَعُ القولِ في معنى «الإله» ما نقله ابن منظور في مادة (إله) من لسان العرب عن أبي الهيثم أنّه قال:

قال اللهّ عزّ وجلّ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ..﴾ المؤمنون:٩١.

قال: ولا يكون إلهاً حتى يكون مَعْبُوداً، وحتى يكونَ لعابدِه خالقاً ورازقاً ومُدبِّراً، وعليه مقتدراً، فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإنْ عُبِدَ ظُلْماً، بل هو مخلوقٌ ومُتَعَبَّد.

ما بعد الحَداثة
مفهوم ينتقد الحداثة ولا ينفصل عنها

إعداد: خضر إبراهيم

يرتبط مفهوم ما بعد الحداثة (Postmodernism) ارتباطاً عضوياً بمفهوم الحداثة. إذ لولا هذا الأخير لما أمكَن تداول الأول ليصبح مفهوماً شائعاً تدور حوله وبواسطته مناقشات لا تنتهي.

من الناحية اللّغويّة، فإنّ لـ «ما بعد الحداثة» دلالة على استمرار أمرٍ ما، فهي لا تعني نهاية الحداثة بل تعني نقدَها واستمرارها أيضاً. وقد استُفيد من هذا المصطلح في تاريخ الأدب الأميركي اللاتيني في الفترة الفاصلة ما بين الحربين العالميّتين .

ومثلما تعامل العلماء وفقهاء الإجتماع السياسي مع مفهوم الحداثة لناحية تعدّد تعريفاته، كذلك شأنهم مع مفهوم ما بعد الحداثة، لذلك ليس هناك توافق حول التعريف. وفي هذا الصدد يعتقد الفيلسوف الفرنسي جان فرنسوا ليوتار أنّ العصر (الما بعد الحداثوي) هو عصر التشكيك وموت التعاريف المنطقيّة. فالتشكيك هو نتيجة حتميّة للتطوّر الحاصل في العلوم، وكما يقول ليوتار فإنّ ما يمكن أن يُقَوَّم بوصفه ثقافة معاصرة من قبيل موسيقى الروك، ومشاهدة البرامج الغربيّة، وتناول وجبات «ماكدونالدز»... الخ، إنما هو نمط من أنماط ما بعد الحداثة. ويمكن تلخيص التحديدات التي قال بها ليوتار حول ما بعد الحداثة بما يلي:

- نهاية عصر ابتكار النظريّات أو النظريّات الشاملة في مجال السياسة والاجتماع.
- فقدان نظريّة مُطلَقة في مجال الأخلاق والقِيَم.
- التشكيك الأخلاقي (Moral Skepticism) سوف يُفضي في النهاية إلى عالم اعتباري.
- إعطاء المعنى أهميّة استثنائيّة.

من جهته، يذهب فريدريك جيمسون إلى أنّ عوامل ظهور ما بعد الحداثة هي عبارة عن:

- فقدان العمق وضعف النظرة إلى التاريخ.
- الخمود العاطفي الذي حصل في العصر (الما بعد الحداثوي).

وإذا كانت ما بعد الحداثة، هي الإعتقاد باستحالة تأصيل أيّ معرفة ـ أكانت دينية أم علمية ـ فإنّ الحداثة هي على العكس من ذلك، أي أنّها ليست سوى الإيمان بإمكانيّة تأصيل المعارف. وهكذا يتّصف وضع ما بعد الحداثة بعدم التأصيل، أي بعدم الإعتراف بأن هناك قِيَماً ثابتة، وعلى هذا الأساس يلاحظ العلماء أنّ من صفات مذهب ما بعد الحداثة: الذاتيّة، والتفكيكيّة، والتعدّديّة، والاختلاف، والعشوائيّة.

إذاً، يختصّ مصطلح «ما بعد الحداثة» بوجود عدد كبير من التعريفات تتساوى مع عدد من المظاهر التي تُسفر عنها الممارسات المُندرجة تحت هذ العنوان. فهذا المصطلح يشكّل جزءاً من مفردات فروع المعرفة المختلفة: الأدب، والفن التشكيلي، والمعماري، ووسائل الإعلام، والسينما، والسياسة، وكذلك الفلسفة. بل أكثر من ذلك، فإنّ هذا المصطلح دخل إلى مفردات علم الأديان واللاّهوت.

لكن هناك من الباحثين مَن يدعو في ظلّ الغموض والتعدّد الذي يكتنف المفهوم، إلى التحديد التالي: يجب أن يعترف الجميع بأنّ «ما بعد الحداثة» تُوجد باعتبارها خبرتُنا، أو معرفتُنا المتأخّرة بالحداثة، وبأنّها ردّ فعلنا أو استجابتُنا الفكريّة والأخلاقيّة والجماليّة لهذه النهاية، أي نهاية الحداثة. وهذا الادّعاء التاريخيّ الأساسيّ لما بعد الحداثة يقودنا بشكل طبيعي تماماً إلى فحص علاقتها الحرجة بالحداثة.

حكم

من حِكَم الإمام الباقر عليه السلام

قال عليه السلام: ثلاثة من مَكارم الدنيا والآخرة: أن تعفو عَمَّن ظَلَمَك، وتَصِل مَن قطعك، وتَحلم إذا جُهِلَ عليك.

- مَن صَدَق لسانُه زَكا عَملُه، ومن حَسُنت نِيَّته زِيدَ في رزقه، ومَن حَسُن بِرُّه بأهله زِيدَ في عُمره.
- إعرف المَوَدَّة في قلب أخيك بما له في قلبك.
- مَا دَخل قلبَ امرئٍ شيءٌ من الكِبَر إلا نقص من عقله مثلُ ذلك.
- لا يُقبَل عَمَلٌ إلا بمعرفة، ولا معرفةَ إلا بعَمل، ومَن عَرَف دَلَّتْهُ معرفتُه على العمل، ومَن لم يعرف فلا عَمَل له.
- مَن لم يجعل مِن نفسه واعظاً فإنَّ مواعظ الناس لن تُغني عنه شيئاً.
- مَا عَرَفَ اللهُ مَنْ عَصَاه. (وأنشد عليه السلام) :

تعصي الإلَـهَ وأنـت تُظهِر حُبَّهُ هَـذا لَعَمرُك فِي الفِعَال بَدِيعُ
لَـوْ كَـانَ حُبُّك صَـادقـاً لأطَعْتَهُ إنَّ الْمُـحِـبَّ لِمَن أحَـبَّ مُطِيعُ.

- مَن قُسِمَ لَهُ الخَرَق حُجِب عنه الإيمان.
- شَرُّ الآباء مَنْ دَعَاهُ البِرُّ إلى الإفراط، وشَرُّ الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق.
- كَفى بالمرءِ عَيباً أن يتعرَّف مِن عُيوب الناس مَا يعمى عليه من أمر نفسه، أو يَعيبَ الناس على أمرٍ هو فِيه لا يستطيع التحوّل عنه إلى غيره، أو يؤذي جليسَه بما لا يعنيه.
- إنِّي لأكرهُ أن يَكُون مقدارُ لسانِ الرَّجل فاضلاً على مقدار عِلمه، كما أكره أن يكون مُقدار عِلمِه فاضلاً على مقدار عَقلِه.

لغة

قُـــلْ ولا تَقُـــلْ

قُل: أَحتاجُ إلى صديقٍ يُؤنسُني. ولا تقل: أحتاج صديقاً يؤنسُني. لأنّ فعل (أحتاج) يتعدّى إلى مفعوله بحرف الجرّ (إلى).

قُل: نذهب معاً. ولا تقل: نذهب سويّةً. لأنّ (سويّة) مؤنّث (سويّ) وهو الاعتدال، يُقال: «كان ذا أعمال سويّة». والسويّة من العدل، يُقال: «قسّم الشيء بينهم بالسويّة».

قُل: ما استفاد من تجاربه قَطّ. ولا تقل: ما استفاد من تجاربه أبداً. لأنّ سياق أبداً للمستقبل.

قُل: أُحجيّة (بتشديد الياء)، بمعنى لغز. ولا تقل: أُحجية (بتخفيف الياء). لأنّ الأُحجيّة من الحجى أي العقل، والخفّة، وهي على وزن أغنيّة.

قُل: لا تزال هذه الأخبار تأتيكم من الإذاعة. ولا تقل: لا زالت الأخبار تأتيكم.. لأنّ (لا زال) دُعاءٌ.

قُل: عَرَض (بفتح الرّاء) تريد به كلّ شيءٍ زائل. قال الله تعالى: ﴿..تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ..﴾ النساء:٩٤. ولا تقل: عَرْض (الذي هو ضدّ الطول).

قُل: خَضروات (بفتح الخاء)، تريد به ما اخضرّ من البقول. ولا تقل: خُضروات.

قُل: فكّر في الأمر، أو فكّر فيه. ولا تقل: فكّر بالأمر، أو فكّر به.

قُل: قِدْهُ (بكسر القاف)، بمعنى ضَعْهُ في القيد. وقُل: قُدْهُ (بضمّ القاف)، بمعنى: سِر به، وكُن له دليلاً.

قُل: هو يهُزّ (بضمّ الهاء) رأسه، بمعنى يحرّك. ولا تقل: يهِزّ (بكسر الهاء)، يُقال: أقبلَ يهِزّ بمعنى أقبلَ مُرتاحاً.

إصدارات عربية

الكتاب: «الحرّية الدينية وتنظيمها القانوني».
تأليف: د. لونا فرحات.
الناشر: «دار المشرق»، بيروت ٢٠١٠.

في إطار منشوراتها حول فلسفة الدين والقانون أصدرت «دار المشرق» في بيروت كتاباً جديداً تحت عنوان: «الحرّية الدينية وتنظيمها القانوني» للباحثة الدكتورة لونا سعيد فرحات.يتناول هذا الكتاب الذي قدّمته الباحثة فرحات لنيل شهادة الدكتوراه في القانون من الجامعة اللبنانية، موضوع الحرّية الدينية وحدودها ومعناها وخصوصيّتها في كلّ مجتمع. وقد أجابت عن طائفة واسعة من الأسئلة لتُضيء على هذا الموضوع الإشكالي الذي شغل الشرق والغرب منذ تحوّل السلطات الدينية إلى فاعل أساسي وحاسم في الدولة والمجتمع. ينقسم الكتاب إلى أبواب وأقسام وفصول، جاء أبرزها على الشكل التالي: الباب الأول: يتناول الحرّية الدينية في النشأة والتطوّر. الباب الثاني: الحرّية الدينية في الدساتير المعاصرة للدول الحديثة. أما المباحث التطبيقية فقد تناولت تجارب من العالمين العربي والإسلامي وتجارب موازية في أوروبا وإنكلترا وروسيا.

الكتاب: «رياض الحكماء ونزهة العلماء».
المؤلف: أمان الدين العبدلي الفاطمي.
جمع: الشيخ بدري أمان الدين.
الناشر: «دار إيوان»، بيروت ٢٠١٠.

صدر حديثاً عن «دار إيوان» كتاب في الحكمة والتصوّف الإسلامي للعارف أمان الدين العبدلي الفاطمي، وأعاد تأليفه وتقديمه الباحث اللبناني الشيخ بدري أمان الدين.

يقول المؤلّف إنّ كتابه هذا هو نفحات من الحكمة التي ذكرها عدد من الأئمة والعرفاء الكبار بدءاً بإمام المتّقين علي بن أبي طالب عليه السلام، مروراً بالسلسلة الطويلة من الحكماء والأولياء الذين اعتمد على آثارهم مثل الشيخ البهائي، والسيد الأمين، والشيخ النابلسي والجُنيد والسّري السقطي وسواهم. وقد جمع المؤلّف بعضاً من أقوالهم وحِكمهم، وهي أقرب إلى النوادر والكرامات، وهم في طريق السير والسلوك إلى الحقّ تعالى. قسّم المؤلّف كتابه إلى أبواب تتّصل بالأخلاق العمليّة بأركان السير والسلوك مثل باب التوكّل والزهد واليقين والعلم وسواها، فضلاً عن أخبار أهل البيت عليهم السلام.

الكتاب: «الشباب شعلة تحرق أو تضيء».
المؤلف: الشيخ نعيم قاسم.
الناشر: «دار المحجة البيضاء»، بيروت ٢٠١٠.

صدر حديثاً عن «دار المحجة البيضاء» كتاب لسماحة الشيخ نعيم قاسم تدور موضوعاته حول الشباب ودورهم في بناء المجتمع الإنساني الإسلامي تحت عنوان: «الشباب شعلة تحرق أو تضيء».

في المقدمة نقرأ: «الشباب مرحلة عُمْريّة حساسة، فيها يتأسّس بنيان الإتجاه المستقبليّ فكرياً وثقافياً وسلوكياً ومواقف، وهي بحق مرحلة رسم الإتجاه نحو الصلاح أو الفساد، ونحو استثمار الحياة الإنسانية بجمالها وكمالاتها، أو الغرق في متاهات الملذّات التي تشوّه الجمال وتنحدر بالإنسان».

ينقسم الكتاب إلى تسعة فصول جاءت على الشكل التالي:
الشباب منعطف خطير- الفرصة النادرة- الإنفعالات النفسية عند المراهق- العلاقات الإجتماعيّة- التعامل مع الغريزة الجنسيّة- عناوين الحب- القواسم المشتركة للإختيار الأفضل- المسار السعيد- أسئلة مختارة من لقاءات «منتدى الشباب».

الكتاب: «أعداء محمّد زمن النبوّة».
الكاتب: رضا بن علي كرعاني.
الناشر: «دار الطليعة»، بيروت ٢٠١٠.

صدر حديثاً عن «دار الطليعة» في بيروت كتاب للباحث التونسي د. رضا بن علي كرعاني تحت

عنوان: «أعداء محمد زمن النبوّة».

في مقدّمة المؤلف نقرأ: «لم يستأثر موضوع أعداء النبوّة المحمديّة ببحث مستقلّ على ما يتبيّن من المراجع والدّراسات الخاصة بالسيرة النبويّة عموماً. لذلك ينصبّ هذا العمل على تحديد أعداء النبي الأكرم بأقصى التفاصيل، وذكر ما أمكن من حيثيّاتهم، وتقصّي الأسباب والغايات التي دفعت هؤلاء إلى التحرّك ضد الرسالة النبويّة».

يتألف الكتاب من بابين يندرج تحت كلّ منهما أربعة فصول؛ يتعلّق الباب الأول بعرض لأبرز أعداء النبيّ صلّى الله عليه وآله من أهل مكّة وأهل يثرب. ويتعلّق الباب الثاني بذكر حكايات الأعداء خارج مكّة ويثرب.

وأهميّة هذا الكتاب في أنه يعتمد الوثائق والمرويّات التاريخية المُسندة لتبيان العوامل الإجتماعيّة والإقتصاديّة والثقافيّة التي حملت هؤلاء على معاداة رسول الله صلى الله عليه وآله والوقوف في وجه الدعوة.

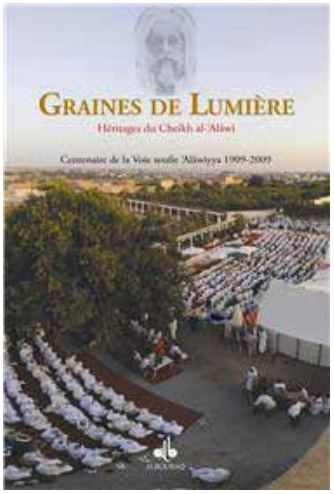

الكتاب: «بذور النور» – (Graines De Lumiere)

المؤلف: مجموعة مؤلفين حول الطريقة الصوفية العلويّة.

الناشر: «مكتبة لوريون»، باريس ٢٠١٠.

صدر حديثاً عن «مكتبة لوريون» في باريس كتاب حول العارف والمتصوّف الإسلامي الجزائري السيد أحمد بن عليوه المعروف بالشيخ العلاوي تحت عنوان: «Graines De Lumiere» أي «بذور النور».

يتضمّن الكتاب آراء وأفكاراً مُتَرجَمة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية لأُدباء وباحثين ورجال دين تحدّثوا جميعاً بطريقة أو بأُخرى عن «التصوّف» كما قدّمها شيخ الطريقة الصوفية العلويّة.

نقرأ في مقدمة الكتاب: «التصوّف هو المسار الروحي للحياة، يقود الإنسان لاكتشاف الواقع الداخلي للحياة، والدين وخاصةً حقيقة ذاته. وفي ما يتعلّق بتربية الإيقاظ، فإنّه يساعد الوعي البشريّ للإنفتاح على العالم والعمل على تحقيق المشروع الإلهيّ الذي خصّ الله تعالى به الإنسان».

جديرٌ بالذكر أن هذا الكتاب يُنشر بمناسبة الذكرى المئوية لإنشاء «الطريقة الصوفية العلوية» (١٩٠٩-٢٠٠٩).

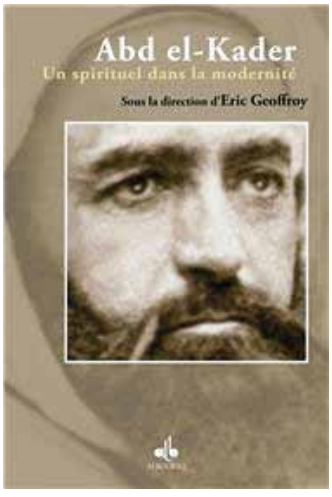

الكتاب: «عبد القادر: الروحانيّة في الحداثة» – (Abd el-Kader: un spiritual dans la modernite)

إعداد: إريك جوفروا.

الناشر: «دار البراق»، باريس ٢٠١٠.

صدر عن دار «البراق» في فرنسا كتاب تحت عنوان «عبد القادر: الروحانية في الحداثة» حرّره الكاتب إريك جوفروا.

يعرض هذا الكتاب نتائج اثنين من المؤتمرات التي عُقدت في دمشق (تشرين الأول ٢٠٠٨) وستراسبورغ (أيار ٢٠٠٩) وتناولت الشخصية العرفانية والثورية للأمير عبد القادر الجزائري. وهو يعكس جوانب مختلفة من حياة وأعمال روحيّة العصر الحديث التي جسّدت هذا التوازن الدقيق، وأصبحت بحسب القول الصوفي المأثور «إبن وقته».

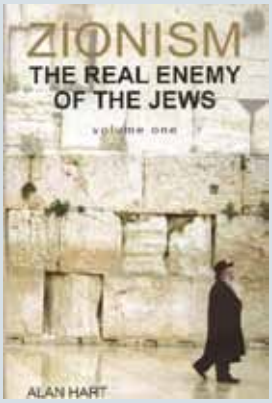

الكتاب: «الصهيونية: عدو اليهود الحقيقي» Zionism The Real Enemy of the Jews»

المؤلف: آلن هارت

الناشر: «كلرتي بريس»، أطلنطا ٢٠١٠.

الرسالة الأساسيّة التي يحويها هذا الكتاب هي أنّ الصهيونيّة هي العائق الأساسي «للسلام العادل» في المشرق العربي، وأنّ استمرار دعم الغرب للكيان الصهيوني ضارٌّ بالطرفين وباليهود، وسيقود حتماً إلى كارثة.

الكتاب المُوجّه إلى القارئ الغربي أساساً، وربّما اليهوديّ الأوروبيّ على نحو خاص، يُدين "إسرائيل" على نحو استثنائي، ويُحمّل قادتها، ومعهم قادة الغرب، مسؤوليّة الكارثة التي حلّت بالشعب الفلسطيني واستمرارِ النزاع الدموي.

ويشدّد المؤلّف آلن هارت الذي عمل مقدّماً ومراسلاً تلفزيونياً لدى هيئة الإذاعة البريطانية (بي. بي. سي)، على أنّ "إسرائيل" ليست دولة يهوديّة وإنما صهيونيّة، والأخيرة حركة علمانيّة تلحق أشدّ الأخطار باليهود في مختلف أنحاء العالم، لأنها بسياساتها العدوانيّة تثير اشمئزاز كثير من شعوب العالم، وتوقظ «معاداة اليهود» الكامنة، خصوصاً بعد ما لحق بهم على يد النظام النازي، علماً بأنه يرفض توظيف المصطلح «محرقة» لوصف ذلك، لأنه، في رأيه، حصلت أكثر من ٧٠ حرباً بعد ذلك وفيها محارق كثيرة.

إلى ذلك، تكمن أهميّة الكتاب في الصراع الإعلامي مع العدو لأنه يخاطب العقل الغربي من طرف خبيرٍ به ينتمي إلى تلك الجامعة الثقافيّة، وهو مهمّ للقارئ العربي لأنه يُطلعه على أسرار مفيدة، ويمسح ما بدا لكثيرٍ منا أنه بديهيّات.

مجلة «ذاكرة مصر المعاصرة»

صدر حديثاً عن مكتبة الإسكندرية مجلة «ذاكرة مصر المعاصرة» في عددها الثالث للعام ٢٠١٠، والذي يتضمّن مجموعة من المقالات والأبحاث التاريخيّة والفكريّة والإبداعيّة؛ أبرزها:

- قراءة في تاريخ القضاء المختلط (١٨٧٥-١٩٤٩).
- مصطلحات من زمن مضى.
- الإحتفال بالعيد النبويّ الشريف.
- متحف بونابرت في مصر (تحقيق).
- وثائق مصريّة من الزمن العثماني.
- لطائف وطرائف.

كما يضمّ العدد طائفة من المقالات الإبداعية في فن الرسم والخط العربي والإسلامي تعود إلى أزمنة إسلامية مُتعاقبة. يُذكر أنّ هذه المجلة، التي تصدر عن مكتبة الإسكندرية بصورة فصليّة، يشرف عليها مدير عام المكتبة إسماعيل سراج الدين، ويرأس تحريرها الدكتور خالد عزب.

فصليّة «دراسات اجتماعيّة» العدد (٢٢)

صدر مؤخراً العدد الثاني والعشرون من المجلة الفصلية المحكّمة التي تصدر عن «بيت الحكمة» في بغداد.

يحمل العدد الجديد عدداً من المقالات والموضوعات المنوّعة والمتعلّقة بقضايا التنمية البشريّة والاجتماع التربويّ في العالم الاسلامي.

من أبرز هذه الموضوعات:

- مقالة حول «الزواج المبكر وانعكاساته على البُنية الأُسَريّة في المجتمع الإسلامي»، كتبته الدكتورة رجاء محمد قاسم.
- «السبيل إلى الإدارة باستخدام الهندسة النفسية» للدكتور نبيل محمد.
- «دور صلاة الجماعة في التنمية المحليّة» للدكتور حارث حازم.
- «تأمّلات سوسيولوجيّة» للدكتور كامل المراياتي.

كما يضمّ العدد مجموعة من المقالات في الشأن الاجتماعي والتربوي والسلوكي.

«الحكمة» العدد (٤٨)

صدر عن مؤسّسة «بيت الحكمة» في بغداد العدد الجديد (الثامن والأربعون) من مجلّة «الحكمة» الفصليّة المحكّمة.

في هذا العدد الذي شارك فيه مفكّرون وباحثون وأساتذة جامعيّون من العراق والعالم العربي والإسلامي، مجموعة من الأبحاث والمقالات في الشأن الفكري والفلسفي.

من هذه المقالات والأبحاث نقرأ العناوين التالية:

- «التنمية السياسيّة للمجتمع المدني» للدكتور ثامر كامل محمد.
- «الموقف الفرنسي من الاحتلال البريطاني للموصل» للدكتور خليل الخفاجي.
- «الأنموذج الإسلامي التركي» للدكتورة ناهد عبد الكريم.
- «مفهوم الذات بين الواقع والافتراض» للدكتور رضا الموسوي.
- «الأسطورة بين الفكر والشعر» للدكتور محمد عبد الرحمان.
- «الدمقرطة والحراك السياسي الإسلامي» للباحثة إلهام أحمد القيسي.

فصلية «إيران والعرب» (العدد ٢٥)

صدر مؤخّراً العدد (٢٥) من فصلية «إيران والعرب» التي تصدر عن «مركز الأبحاث العلميّة والدراسات الإستراتيجية للشرق الأوسط».

في هذا العدد، المُخصّص بأكمله حول القضايا الأدبية والثقافية، نقرأ طائفة من المقالات والدراسات تندرج على الجملة في إطار التبادل الثقافي المعرفي بين إيران والعالم العربي.

وأبرز ما جاء فيه:

- الإفتتاحية بعنوان: «المقاومة والإستقرار السياسي» بقلم سيد حسين موسوي.
- موقف الإمام الخميني من القضية الفلسطينية والقضايا العربية للدكتورة دلال عباس.
- الأدب القَصصي الإيراني بين التأسيس والتجنيس للباحث أحمد موسى.
- قراءة لمحمد علي قاسمي في كتاب «سير الملوك» للخواجة نظام المُلك.
- علاقة اللغة الفارسيّة باللّغات السامية قبل الإسلام لرمضان بهداد.
- دور الترجمة في التأثير على الآداب الغربية للكاتب يحيى عباس.
- ترجمات رباعيّات الخيّام لنور الدين حمود.

في مراتب السلوك

إعلم أنّ لأهل السلوك مراتبَ ومدارجَ لا تُحصى. ونحن نذكر بعض المراتب على النحو الكلّيّ، وأمّا الإحاطة بجميع الجوانب وإحصاء جميع المراتب، فخارجٌ عن عهدتي وفوق طاقتي، فإنّ «الطُرُقَ إلى الله بِعَدَد أنفاس الخلائق».

قال الصادق عليه السلام: «الإيمان درجات وطبقات ومنازل، فمنه التامّ المُنتهي تمامُه، ومنه الناقص البَيِّنُ نُقصانُه، ومنه الراجح الزائدُ رَجحانُه». وقال الباقر عليه السلام: «إنّ المؤمنين على منازل، منهم على واحدة، ومنهم على اثنتين، ومنهم على ثلاث، ومنهم على أربَع، ومنهم على خمس، ومنهم على ستّ، ومنهم على سبع، فلو ذهبتَ تحمل على صاحب الواحدة اثنتين لم يَقوَ، وعلى صاحب الإثنتين ثلاثاً لم يقوَ»، وساق الحديث ثم قال: «.. وعلى هذه الدرجات».

فمن تلك المراتب مرتبة العِلم، وهي أن يثبت بالسلوك العلميّ والبرهان الفلسفيّ ذِلّة العبوديّة وعِزّة الربوبيّة، وهذا لبٌّ من لُباب المعارف. فقد اتّضح في العلوم العالية والحكمة المُتعالية أنّ جميعَ دار التحقّق وتمامَ دائرة الوجود إنّما هو صرف الرَّبْط والتعلّق، ومحضُ الفقر والفاقة، أمّا العِزّة والمُلك والسلطان فمُختصّةٌ بذاته المقدّسة الكبريائيّة، وليس لأحدٍ من حظوظ العِزّة والكبرياء نصيب.

وذُلُّ العبوديّة والفقر ثابتٌ في ناصيتِهم، وفي حاقّ حقيقتهم، وإنّما حقيقة العرفان والشهود ونتيجة الرياضة والسلوك هي رفعُ الحِجاب عن وجه الحقيقة، ورؤيةُ ذُلّ العبوديّة وأصل الفقر، والتدلّي في نفْسِه، وفي جميع الموجودات.

ولعلّ في الدعاء المنسوب إلى سيّد الكائنات: «أللّهمّ أرِني الأشياءَ كما هي»، إشارةً إلى هذا المقام بمعنى أنّه صلى الله عليه وآله سأل الله سبحانه أن يُشهده ذلّةَ العبوديّة المُستلزِمة لشهود عِزّ الربوبيّة.

فسالك طريق الحقيقة ومسافر سبيل العبوديّة، إذا قطع هذا المنزل بالسلوك العلميّ، وركب مركبَ السير الفكريّ، يقعُ في حجاب العِلم، ويصل إلى المقام الأول للإنسانيّة، ولكنّ هذا الحِجاب من الحُجُب الغليظة. وقد قالوا: «العِلم هو الحجاب الأكبر»، ولا بدّ ألا يبقى في هذا الحجاب وأن يخرِقَه.

ولعلّه إذا اقتنع بهذا المقام، وسجن قلبه في هذا القَيد، يقعُ في الاستدراج. والاستدراجُ في هذا المقام هو أن يشتغل بالتفريعات العلميّة الكثيرة، ويحوّل فكره في هذا الميدان، فيُقيم لهذا المقصدِ براهين كثيرة، فيُحرَمَ من المنازل الأُخَر، ويتعلّقَ قلبُه بهذا المقام، ويغفلَ عن النتيجة المطلوبة وهي الوصول إلى الفناء في الله، ويصرفَ عمرَه في حجاب البرهان وشُعَبِه، وكلّما كثُرت الفروع يصير الحِجاب والاحتجابُ عن الحقيقة أكثر.

فللسالك ألّا يغترّ بمكايد الشيطان في هذا المقام، ولا يحتجِبَ بكثرة العلم وغزارته، ولا بقوّة البرهان عن الحقّ والحقيقة، ويتأخّر عن السير في الطلب، بل يشمّر الذَّيل، ولا يغفل عن الجدّ في طلب المطلوب الحقيقيّ، حتى ينال المقامَ الثاني.

وهو أنّ كلّ ما أدْرَكَه عقلُه بقوّة البرهان والسلوك العلميّ يكتبُه بقلم العقل على صحيفة قلبه كي يوصل حقيقة ذُلّ العبودية وعِزّ الربوبيّة إلى القلب، ويفرغ من القيود والحُجب العلميّة.

من كتاب «الآداب المعنوية للصلاة» للإمام الخميني قدس سره